المرأة والفلاحة العائلية بأرياف مدينة سبيبة: ديناميكية التغير الاجتماعي

Women and family farming in the countryside of Sbeeba: the dynamics of social change

إعـــــداد

حذامـــــــــي حسني

المعهد الوطني لرعاية الطفولة- منوبة- تونس

ملخّص

ان المرأة الريفية قادرة على المشاركة في جميع مجالات الحياة ومن بينها مساهمتها في الفلاحة العائلية وفي اقتصاد العائلة في أرياف سبيبة خاصة مع وجود أرضية طبيعية ومناخية تساعد المرأة الريفية على المساهمة في الفلاحة العائلية، لهذا كان من المفيد دراسة وضعية هذه الفئة من النساء والاهتمام بما يميزها عن غيرها، والتركيز عليها أكثر من المرأة في المناطق الحضرية، خاصة وأن غياب العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين النساء والرجال يجمع نساء العديد من المجتمعات لكنه يبرز بشكل ملحوظ في المناطق الريفية لأن عدم المساواة في هذه المناطق هو أكثر حدة و عمق باعتبار أن الوضعية الحقوقية للمرأة الريفية هي أكثر هشاشة من المرأة في المدينة. ومن أهم دوافع اختيارنا لهذا الموضوع هو لفت الانتباه إلى الدور الهام والخفي الذي تلعبه النساء في الوسط الريفي، هذا بالإضافة إلى أن موضوع الفلاحة العائلية هو موضوع هام ويطرح العديد من التساؤلات.

و يعتبر الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو المساهمة في توعية الأفراد بمدى قدرة المرأة الريفية بإعتبارها فاعلة إجتماعية وإقتصادية على المحافظة على إستمرارية الفلاحة العائلية من خلال مختلف أنشطتها الفلاحية على الرغم من محدودية الدعم و مع وجود العديد من الصعوبات و العراقيل التي تعترضها، وخاصة لفت انتباه الجهات المعنية الى مدى قدرة المرأة الريفية على تحسين نشاطها الفلاحي والتطوير في مستوى مردودية الفلاحة العائلية اذا توفرت لها امكانيات أفضل من الامكانيات المتاحة لها حاليا و ذلك من خلال الوقوف على واقع المرأة الريفية و ما تواجهه من نقص في الامكانيات و المرافق اللازمة لإنجاز أنشطتها فقد آن الأوان لنتساءل عن حقوق المرأة في الريف وطموحها وتطلعاتها، و موقعها في قائمة المعنيين بقضايا المرأة، وهل هناك مساع للتخفيف عن الأعباء التي تثقل كاهلها، اذ لا نريد أن تبقى هؤلاء

النساء منسيات، بل نريد أن يعلم الجميع بقضيتهن و أن يتحول هذا النسيان الى انشغال و أن يترجم هذا الانشغال بالتفكير في حلول، خاصة و أن لهذه الصعوبات التي تعترض المرأة في معيشها اليومي وفي عملها الفلاحي انعكاس على مستوى مردودها في العمل، كل هذا بالعودة إلى جملة من المقاربات السوسيولوجية التي من بينها مقاربة النوع الاجتماعي .

أجريت هذه الدراسة بناءا على منهج كيفي وعلى عيّنةِ بحث مكونة من ٣٢ امرأة مقسمين بالتساوي على أربعة أرياف تابعة لمدينة سبيبة وذلك حسب المقياس المجالي. و تتراوح أعمارهن من ١٨ سنة فما فوق وكان من بينهن نساء متزوجات دون أطفال و أمهات و فتيات غير متزوجات (في وضعية الأخت وفي وضعية الابنة) و لمزيد التوضيح فان اختيارنا لهذه العينة كان بعد القيام ببحث أولي للمنطقة ولأهالي المنطقة. كما اعتمدنا أيضا في اختيارنا لهذه العينة على مقياس النموذج المثال الذي من وجهة نظر" ماكس فيبر " هو عبارة عن بناء عقلي من المفاهيم المجردة و هذا النموذج المثال يكون مصمما ليساعد في فهم الواقع التجريبي لظاهرة اجتماعية معينة وهكذا يمكن استخدام النموذج المثال كآداة من أجل المقارنة بين ظاهرتين أو أكثر أو لقياس مدى تقارب الظاهرة المعطاة من هذا النمط المثالي.

اذ ستكون وحدة البحث كالآتي

- نساء من "البحيرة" (هواشم)
- نساء من "عين الخمايسية"(اولاد مساهل).
- نساء من السمايرية.
- نساء من اولاد داود.

و لقد اخترنا ٨ نساء ليس اعتباطيا و انما ليكون هناك في كل ريف من الأرياف تنوع في وضعية وحدات البحث أي لتكون العينة في كل ريف كالاتي=

- 2نساء في وضعية الزوجة دون اطفال.

- 2نساء في وضعية الأم.
- 2نساء في وضعية الأخت.
- 2نساء في وضعية الابنة.

كما اننا اخترنا امرأتان من كل وضعية أولا لمقارنة المرأة الاولى مع المرأة الثانية في نفس الوضعية ثم لمزيد التأكد و التدقيق في وضع المرأة الريفية من كل وضعية.

وقد أجابَت المستجوبات على مجموعة من الأسئلة في شكل شبكة مقابلة نصف موجهة وأشارَت النتائج الى أنه و في اطار ديناميكية التغير الاجتماعي، الارتقاء والتطوير في مستوى الانتاجية في الفلاحة العائلية يكمن في الارتقاء بوضعية المرأة الريفية في اطار الفلاحة العائلية و من خلال الاستجابة لمطالبها و تطلعاتها. وحسب ما توصلنا اليه من خلال البحث الميداني فقد استنتجنا بعد التحليل أن المرأة بأرياف سبيبة تتعرض الى صعوبات أسرية وظروف عمل صعبة ومعقدة وهي تمارس نشاطها اليومي أو الفلاحي و هذا ينعكس ضرورة على مساهمتها في عملية الانتاج، كما لاحظنا من خلال البحث أن المرأة بأرياف سبيبة وحسب ما صرحت به كل المستجوبات لم تستفد بأي تدخل أو مساعدة لا من طرف الدولة و لا من طرف جمعيات المجتمع المدني، و انما تلجأ للأقارب للاقتراض أو عند طلب الارشاد ان احتاجت ذلك، حيث أن غياب الاهتمام من جهة ينعكس سلبا على مستوى الانتاجية ومن جهة أخرى يجعلنا نتساءل عن مدى امكانية الارتقاء بمستوى الانتاجية لو تعززت تدخلات الدولة والمجتمع المدني في هذا المجال.

كما تبين لنا عبر المرور بخصائص المرأة الريفية بسبيبة وخصائص منطقة الدراسة والخصائص العمل الفلاحي بها أن تقسيم الأنشطة والأعمال الفلاحية في علاقته بتوزيع المرابيح والتصرف في العائدات المالية بين المرأة والرجل في الريف لا يمتاز بالمساواة، وأن عملية تسويق المنتوج والتصرف في المرابيح

يضطلع بها الرجل في حين أن جميع الأنشطة الفلاحية داخل المستغلة الفلاحية أو خارجها تقوم به المرأة وينضاف الى هذه الأنشطة الأعمال المنزلية ومهمة تربية الأطفال ونقل الماء بالطريقة التقليدية لعدم توفر الماء الصلح للشراب بالنسبة لبعض عناصر العينة وأيضا الأعمال المتعلقة بتربية الدواجن أو الدواب...خاصة أنه قد تبين من خلال الدراسة أن موقف المرأة من هذا التقسيم لا يتماشى مع انتظاراتها وتطلعاتها.

كلمات مفتاحيه: الفلاحة العائلية؛ المرأة الريفية؛ ديناميكية التغير الاجتماعي؛ مدينة سبيبة من ولاية القصرين بتونس .

*باحثة في علم الاجتماع وأخصائية اجتماعية مستشارة- ماجستير علم اجتماع التغير الاجتماعي

Women and family farming in the countryside of Sbeeba: the dynamics of social change

Hadhemi Hosni - National Institute for Child Welfare- Manouba- Tunisia

Abstract

The rural woman is able to participate in all aspects of life, including her contribution to family farming and the family economy in the countryside of Sbeeba, especially with the existence of a natural and climatic environment that helps rural women to contribute to family farming. Therefore, it was useful to study the situation of this category of women and pay attention to what distinguishes them than others, and focus on them more than women in urban areas, Especially since the absence of justice and equality in rights and duties between women and men unites women in many societies, but it is prominent in rural areas because inequality in these areas is more severe and deep, given that the human rights situation of rural women is more fragile than that of women in the city. One of the most important motives for choosing this topic is to draw attention to the important and hidden role that women play in the rural sector, in addition to the fact that the issue of family farming is an important topic and raises many questions.

The main objective of this study is to contribute to raising individuals' awareness of the extent of rural women's ability as a social and economic actor to maintain the continuity of family farming through their various agricultural activities despite the limited support and with the many difficulties and obstacles they face, especially drawing the attention of the authorities concerned with the extent to which rural women are able to improve their agricultural activity and develop the level of productivity of family farming if they have better capabilities than the capabilities currently available to them, by examining the

reality of rural women and what they face in terms of the lack of capabilities and facilities necessary to carry out their activities, the time has come, let us ask about women's rights in the countryside, their ambitions and aspirations, and her position in the list of those concerned with women's issues, and are there efforts to alleviate the burdens that burden her, because we do not want these women to remain forgotten, but rather we want everyone to know about their cause, and for this forgetfulness to turn into preoccupation, and for this preoccupation to be translated into thinking about solutions, especially because these difficulties that women face in their daily living and in their agricultural work have a reflection on the level of their returns at work, all this by returning to a number of sociological approaches, including the gender approach.

This study was conducted based on a qualitative approach and on a research sample consisting of 32 women divided equally over four rural areas of the city of Sbeeba, according to the spatial scale. Their ages ranged from 18 years and over, and among them were married women without children, mothers, and unmarried girls (in the status of sister and in the status of daughter). For further clarification, we chose this sample after conducting a preliminary search for the region and the people of the region. We also relied, in our selection for this sample, on the scale of the example model, which, according to Max Weber, is a mental construction of abstract concepts, and this example model is designed to help understand the experimental reality of a particular social phenomenon. Thus, the example model can be used as a tool for Comparison between two or more phenomena, or to measure how close a given phenomenon is to this ideal type.

As the search unit will be as follows

- 8 women from "Al-Buhaira" (Hawashim)
- 8 women from Ain al-Khamisia (Awlad Mesahel).

- 8 women from Samaria.
- 8 women of Awled Dawed.

And we chose 8 women, not arbitrarily, but so that in each of the rural areas there would be a diversity in the status of the research units, that is, the sample in each countryside would be as follows =

- 2 women in the position of a wife without children.
- 2 women in the position of the mother.
- 2 women in the position of a sister.
- 2 women in the position of a daughter.

We also chose two women from each situation first to compare the first woman with the second woman in the same situation, and then for further verification and scrutiny of the situation of rural women from each situation.

The respondents answered a set of questions in the form of a semi-directed interview. The results indicated that, within the framework facing the dynamic of social change, the upgrading and development of the level of productivity in family farming lies in improving the position of rural women within the framework of family farming and by responding to their demands and aspirations. According to what we have reached through field research, we have concluded after analysis that women in the countryside of Sbeeba are exposed to family difficulties and complex working conditions while they practice their daily or agricultural activities, and this reflects the need for their contribution to the production process.

We also noticed through the research that women in the countryside of Sbeeba, according to what all the respondents stated, did not benefit from any intervention or assistance, neither from the state nor from civil society associations. Rather, they resort to relatives to borrow or when seeking guidance if they need it, as the absence of interest On the one hand, it reflects negatively on the level

of productivity, and on the other hand, it makes us wonder about the extent to which it is possible to raise the level of productivity if the interventions of the state and civil society in this field are strengthened. It also became clear to us, through going through the characteristics of the rural woman in Sbeeba, the characteristics of the study area, and the characteristics of the agricultural work in it, that the division of agricultural activities and work in relation to the distribution of profits and the disposal of financial returns between women and men in the countryside is not characterized by equality, and that the process of marketing the product and disposing of the profits is undertaken by the man, while That all the agricultural activities inside or outside the agricultural exploited are carried out by the woman, and to these activities are added the housework and the task of raising children and transporting water in the traditional way due to the lack of suitable water for drinking for some of the elements of the sample, as well as work related to raising poultry or animals ... especially as it has been shown through the study, showed that women's attitude towards this division is not in line with their expectations and aspirations.

مقدمة:

لقد بقيت صورة المرأة منحصرة في دورها الطبيعي البيولوجي المتمثل في وظيفة الإنجاب أو القيام بالأعمال المنزلية ورعاية شؤون الأسرة، وكنتيجة لهذه الصورة لم يعترف للمرأة بمساهمتها في بعض الأنشطة الأخرى، بل كان ينظر لها على أنها فقط مساعدة للرجل على آداء وظائفه التي تعتبر وظائفا أساسية، على خلاف وظائف المرأة التي ينظر لها المجتمع على أنها وظائف متممة لما يقوم به الرجل، فلقد ارتبطت بالمرأة العديد من المهام التقليدية المتصلة بالجانب البيولوجي الديمغرافي والتي يكمن أبرزها في اعادة انتاج النوع البشري.

وينسب للمرأة أيضا مهمة التنشئة الاجتماعية المتمثلة في وظيفة التربية ورعاية شؤون الأبناء. أما أنثروبولوجيا فغالبا ما ينظر للمرأة على أنها وسيلة لإنشاء القرابة و التحالفات بين القبائل و ذلك من خلال علاقات المصاهرة أي عبر الزواج. كما أنه و بالمعنى السوسيوأنتروبولوجي للمرأة علاقة مباشرة بمسألة الارث فكما يمكن لها حماية الارث و المحافظة عليه عبر الزواج بقريب يمكنها أيضا التنازل عنه عبر الزواج ببعيد (غريب عن العائلة)، فالبعض يرى بأن المرأة الأم والزوجة وجدت لتربية الأطفال والاعتناء بزوجها فقط، ولم توجد للعمل خارج المنزل لأن هذا العمل يمنعها من أداء وظيفتها الأساسية.

هذه النظرة كانت سبباً في تدهور مكانة المرأة الاجتماعية وأدت إلى ضعف دورها الاجتماعي والاقتصادي، بما في ذلك عدم الاعتراف لها ببقية الأعمال التي تقوم بها ومن هذا المنطلق فحصول المرأة على التعليم يعتبر رفاهية، وامتهانها عملاً ما خروجاً على تقاليد المجتمع، وحصولها على الاكتفاء والاستقلال المادي شيئاً غير مرغوب فيه، وتحقيق الذات كلاماً ليس له أي معنى .

وعلى هذا يجب أن يفسح لها مجال العمل الإنتاجي داخل وخارج المنزل، هذا باعتبار أن العمل المنزلي الأسري يعتبر عملا إنتاجيا (بدون أجر).

فالمساواة بين المرأة و الرجل في الإمكانيات والقدرات و الحقوق، يعني أن المرأة تساوي الرجل عقلياً وفكرياً، وقادرة على العطاء والعمل والإنتاج والإبداع، مع العلم أن مجالات العمل والإبداع قد تكون مختلفة لكل من الرجل والمرأة، كما أنها تتمتع بالصفات الخلقية والنفسية والفكرية والجسدية التي تؤهلها للمساهمة في جميع أنشطة الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وتبوّء المناصب في مختلف المجالات والمستويات، وأنه من غير المنطق والعدل والفائدة إبعادها قسراً (مباشرة أو غير مباشرة) عن العمل وتخصيصها فقط بالمنزل، لأننا نكون بذلك قد حرمنا المجتمع من عنصر مبدع ومنتج في العديد من الميادين، والمفروض أن يؤمن للمرأة كما الرجل فرص التعليم والحياة والاختيار بدون أي قسر أو إكراه (مادي أو معنوي، فكري أو اجتماعي أو نفسي) ويجب أن تشعر المرأة أن قوانين وعادات وإمكانيات المجتمع توفر وتؤمن لها هذا الاختيار وتساعد في تحقيقه تماماً كالرجل، وهذا يعني العمل على تكريس مبدأ المساواة.

وعليه فارتباط المرأة بهذه المهام الطبيعية البيولوجية هو ما جعل مشاركتها في بعض الأنشطة الاخرى خفية عن العيان على الرغم من أهميتها وخاصة منها أنشطة المرأة الريفية.

الإطار النظري والمنهجي للبحث

مشكل الدراسة:

هل لواقع المرأة الريفية انعكاس على مستوى انتاجها الفلاحي العائلي؟ وهل يعتبر الحل في الارتقاء بمستوى الإنتاج

في الفلاحة العائلية هو الالتفات الجدي لهذا الواقع؟

إشكالية الدراسة:

لقد اتجهت العديد من السياسات الزراعية في البلاد التونسية الى المجال الفلاحي (النظام التعاضدي في الستينات ثم الاجراءات الليبيرالية الاخرى مند السبعينات ثم الثمانينات...) الا أن مختلف السياسات الزراعية في هذا المجال لم تنجح في التوفيق بين الاعتبارات الاقتصادية و الاعتبارات الاجتماعية

فانتهاء او توقف هذه السياسات الزراعية لا يمكن تفسيره فقط بضعف الموارد المادية و التقنيات بل أيضا يمكن تفسيره بعدم التطابق بين انتظارات و أهداف الدولة من ناحية و بين انتظارات الفلاحين من ناحية أخرى خاصة و أن الدولة تنظر الى القطاع الزراعي كاحتياطي هام تلجا الى الاقتطاع منه لصالح بقية القطاعات الاقتصادية الاخرى (بمنطق الربح الاقتصادي) و ذلك عبر مؤسساتها و عن طريق الارشاد الفلاحي الذي تهدف من خلاله الى تحسين وتحديث المجال الزراعي . بينما لو نظرنا فيما يسعى الفلاح الى تحقيقه لوجدنا ان هذا الأخير يهدف الى المحافظة على بقائه و الى ضمان الاكتفاء عبر هذا النشاط الزراعي و هذا يتم داخل نسق عائلي مترابط اي داخل منظومة العائلة و هذا ما يدفعنا للحديث عن ما يمكن تسميته " بالفلاحة العائلية " باعتبار أن كل أفراد العائلة يصبحون معنيين بفلاحتهم و ذلك بصفتها ملك مشترك بينهم كما يساهمون سواءا باشتغالهم في الزراعة أو خارجها في المحافظة على هذه الفلاحة العائلية. وهكذا تصبح الفلاحة العائلية منظومة واحدة تتفاعل العناصر داخلها من أجل تحقيق هدف مشترك أي أن العائلة تصبح عبارة عن وحدة انتاج زراعي يرتبط فيها العمل والملكية ارتباطا مباشرا بالعائلة و هذا ما يجعلنا نستنتج ان الفلاحة العائلية تختلف عن بقية الاصناف الفلاحية الاخرى كالفلاحة الرأسمالية التي تقوم على تأجير اليد العاملة و على تقنيات ذات مردودية عالية او الفلاحة الدولية أو الفلاحة التعاضدية.

و تتعدد وضعيات الفلاحة العائلية ووظائفها فهي فلاحة معاشية من ناحية لكنها تساهم في شد جزء كبير من السكان الريفيين الى مناطقهم من ناحية أخرى، كما أنها فلاحة منتجة أيضا اذ تساهم بقطع النظر عن مدى المساهمة في تزويد السوق الوطنية و يمكن ملاحظة وظائفها الأخرى أيضا من خلال الطابع العائلي لليد العاملة الفلاحية و المساهمة في الانتاج و في خلق موارد

رزق للسكان الريفيين ويجدر بنا هنا التذكير ببعض الملامح الأساسية لتطور هياكل الانتاج الفلاحي في البلاد التونسية خاصة و أن الفلاحة العائلية تمثل النمط الزراعي الغالب حيث تمثل اليد العاملة العائلية ٨٤ بالمائة من جملة اليد العاملة الزراعية

هذا مع التأكيد خاصة على الدور الحاسم الذي تلعبه الفلاحة العائلية في التغيرات الاجتماعية في الوسط الريفي كما علينا تنزيل أنشطة المرأة في اطارها الأساسي(المزارع العائلية) و تحديد افضل للدور الحاسم الذي تلعبه المرأة في الاستراتيجيات الانتاجية و الاجتماعية للعائلات التي تعتمد على الفلاحة العائلية، ففي البلاد التونسية يتنزل عمل المرأة الفلاحي أساسا في نطاق المستغلات العائلية ويتجسم الطابع الأسري لعمل المرأة الفلاحي في المستغلات العائلية في الاضطلاع بأنشطة و أعمال متنوعة تتطلب حيزا هاما من الوقت و هذا ما يتطلب منا في مرحلة اولى النظر فيما تثيره استعمالات عبارة "المرأة الريفية" فعبارة المرأة الريفية توحي في الغالب بصورة امرأة مشتغلة في الحقول و تقوم بعملها يدويا وتتحمل اعباءا ثقيلة من خدمة الأرض و الأعمال المنزلية و تربية الاطفال و العناية بالحيوانات و جلب الماء و جمع الحطب...

وهي تعيش غالبا في ظروف صعبة وتتمتع بمستوى تعليمي متواضع أو معدوم ونمط عيش تقليدي بالإضافة الى التبعية في اطار العائلة الأبوية. الا أن هذا النموذج الجاهز لا يعكس تنوع الانشطة التي تقوم بها بها المرأة الريفية في الوسط الريفي وتطوره لأن هذا النموذج الجاهز يختزل الريف في نوع واحد من النشاط (فلاحة) و نوع واحد من السكان، و في نمط عيش تقليدي و في نظام عائلي أبوي تكون المرأة فيه في حالة خضوع و تبعية .

لهذا يجب الاشارة الى أن أنشطة المرأة في الوسط الريفي لا تنحصر فقط في خدمة الأرض. فتنوع الانشطة يمثل خاصية أساسية في حياة المرأة التي تعيش في الوسط الريفي و هذا ما يمكن تسميته بالتعدد النشاطي ، كما أن

المجتمعات الريفية في تونس لها تقاليد وخصائص و مسارات تاريخية مختلفة أي أن هذه المجتمعات ليس لها قالب جاهز تتنزل فيه. لذلك تختلف وضعية المرأة الريفية و أنشطتها من مجتمع ريفي الى آخر باختلاف خصوصيات هذه المجتمعات.

اضافة الى ان النساء الريفيات اللاتي ينتمين الى نفس المجتمع الريفي ينتمين الى عائلات متفاوتة الدخل ومختلفة التركيبة. كما أن المرأة المتزوجة والابنة على سبيل المثال لا تقومان بنفس النشاط. هذا بالإضافة الى أن المرأة العاملة في القطاع الفلاحي ليست بالضرورة من أصل ريفي بل يمكن ان تكون من منطقة حضرية لكنها و بحكم الزواج استقرت في الريف و أصبح لها نشاط فلاحي فيه و عليه فان النساء الريفيات لا يمثلن فئة متجانسة لهذا لا يمكن دراسة هذه الفئة باعتبارها فئة ثابتة و متجانسة بل على عكس ذلك ينبغي دراستها باعتبارها في ديناميكية متواصلة تتأثر بالتغيرات و التطورات الاجتماعية والاقتصادية الحاصلة ، و هذا ما يدفعنا للاهتمام بهذه الفئة الاجتماعية دون سواها و التفكير في دراسة مختلف خصائصها وخاصة ظروف عيشها وعملها وانتظاراها في علاقتها بالمردود الفلاحي وبمستوى الانتاجية في مجال ريفي معين و هو أرياف مدينة سبيبة خاصة لما شهدته هذه الأخيرة من تغيرات اجتماعية سواءا على مستوى تركيبة العائلة في الأوساط الريفية أو على مستوى ظهور أنشطة فلاحية جديدة و اندثار أنشطة أخرى أو أيضا فيما يتعلق بالأنشطة والمهام المرتبطة بالمرأة الريفية و موقعها داخل منظومة الفلاحة العائلية التي ظهرت كنشاط اجتماعي قادر على الاستمرار غلى الرغم من عدة صعوبات وعراقيل و ذلك لأن الفلاحة العائلية تعتبر نسقا اجتماعيا يشتغل في اطار ديناميكية من التغيرات الاجتماعية من ناحية ويشتغل باشتغال مجموعة من العناصر التي تتقاسم الادوار فيما بينها لتحقيق هدف مشترك من ناحية أخرى و من بين هذه العناصر نجد المرأة

المشتغلة في الفلاحة العائلية و التي تعتبر عمودا لهذا النمط الفلاحي الذي لم يندثر رغم هذه التغيرات الاجتماعية، وعليه فقد وجب علينا أن نحاول ملامسة بعض هموم ومشاكل المرأة الريفية و ذلك بتسليط الضوء على الاحتياجات و المطالب التي تفتقر لها، و الالتفات الجاد نحو قضايا المرأة في الريف خاصة بالنظر الى ما تواجهه من نقص في الامكانيات والمرافق الازمة لإنجاز أنشطتها، وهنا علينا أن نتساءل عن حقوق هذه الأخيرة وطموحها وتطلعاتها وانتظاراها، فالمعيش اليومي للمرأة الريفية والصعوبات الحياتية التي تعيشها هذه الأخيرة داخل الأسرة و خلال قيامها بأنشطتها الفلاحية منها وغير الفلاحية لها علاقة مباشرة بمستوى الانتاجية في الفلاحة العائلية، لهذا اخترنا محاولة فهم ظروف عيش وعمل المرأة الريفية بسبيبة ومدى انعكاس ذلك على المردود الفلاحي العائلي، لفهم الأسباب التي أدت لتدني الانتاجية في الفلاحة العائلية خاصة و أن هذا المجال الفلاحي العائلي فيه جانب فني وجانب آخر انساني يقوم على اليد العاملة النسائية أي بمعنى أوضح محاولة فهم ظروف الانتاج و تحديدا ظروف عيش وعمل المرأة المشتغلة في هذا المجال وانعكاسها على مستوى الانتاج في الفلاحة العائلية.

أسئلة الإشكالية:

اذا أين تكمن الصعوبات التي تتعرض لها المرأة الريفية خلال قيامها بنشاطها الفلاحي العائلي؟ وفيما تتمثل انتظاراتها و تطلعاتها؟ وهل هناك مساع جادة للنهوض بوضع المرأة الريفية والاستجابة لهذه الانتظارات؟ وهل للاستجابة لانتظارات وتطلعات المرأة الريفية بسبيبة علاقة بتحسن مستوى مردودها في العمل، وبالتالي تحسن مستوى الانتاج في الفلاحة العائلية؟

على ضوء هذه التساؤلات عرضنا إشكالية البحث على مختلف المدارس الفكرية التي تناولتها بالتحليل في دراسات سابقة، ومن بين النظريات التي تناولت المسألة نجد النظرية الماركسية بما أنه وحسب ماركس يمكننا تصنيف الفلاحة العائلية كإنتاج سلعي صغير ينضوي داخل نموذج الرأسمالية باعتبار

ان الفلاح هو منتج يباشر عمله في القطاع الفلاحي ويتعامل مع السوق والمستغلة التي يستعملها لا نجد فيها يد عاملة مؤجرة انما يد عاملة عائلية. الفئات الاجتماعية الهامة عند ماركس هي الفلاحون (العمال). لكن أيضا يمكن تطبيق النظرية الماركسية على المرأة ان غيرنا العلاقة التبعية بين أصناف الفلاحات (رأسمالية وعائلية) الى علاقة تبعية بين الأفراد (المرأة والرجل). أما بالنسبة للتغير فماركس يعتبر أن المجتمع يدفع بطبيعته للتغير. فالتغير عنده هو حقيقة منطقية اذ لا وجود لمجتمع يخلو من التغير والديناميكية. كما أن ماركس يعتبر ان الانسان لا يستطيع أن يقوم بعملية الانتاج بمفرده لذلك فهو مجبر على ان يدخل في علاقات مع غيره من الناس خلال عملية الانتاج و هي ما يسمى بعلاقات الانتاج وهذا ما يحدث داخل الفلاحة العائلية، لكن لو نظرنا في النظرية الماركسية فسنجد بأنها تفسر التفاوت الطبقي بين الفلاحين الرأسماليين الكبار و صغار الفلاحين، فأصحاب القوة حسب النظرية الماركسية هم الفلاحون الرأسماليون الكبار وماركس مبدئيا يعتبر ان الفلاحة العائلية ستزول و يتحول أفرادها الى عمال و ان بقيت فهي محاصرة، فالرأسمالية عند ماركس تحصر الفلاحة العائلية قبل الانتاج من خلال مستلزمات العمل الفلاحي و بعد الانتاج من خلال السوق، وفي هذه النقطة لا نجد بأن النظرية الماركسية هي النظرية الأنسب التي سنعتمد عليها في بحثنا، باعتبار أن الفلاحة العائلية مازالت تحافظ على استمراريتها على الرغم من صعوبة ظروف العمل ضمنها ،اضافة الى أن هذا الصنف الفلاحي يعتبر مرتبطا بمدى الاستجابة لانتظارات و تطلعات المرأة العاملة في الفلاحة العائلية وانعكاس ذلك على مستوى الانتاجية، فهذا الصنف الفلاحي لن يزول بالضرورة كما يرى ماركس، أما النظرية الوظيفية فترى بأن فكرة المجتمع تبنى على فكرة تكوين الانسان، فالإنسان مكون من مجموعة من الأعضاء، يقوم كل عضو فيه بوظيفة تساهم في بقائه حيا متحركا، كذلك المجتمع الذي تلعب

فيه المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة ومجال العمل جملة من الوظائف، وقد كان اهتمام النظرية الوظيفية بما يقدمه كل عضو (مؤسسة أو فرد) من أدوار للمجتمع ليساهم في بقائه و استمراره، والنظرية الوظيفية تطرح جملة من التساؤلات كالتي من قبيل ماهي أجزاء النظام؟ وماهي الوظيفة التي يجب على كل جزء القيام بها؟ وكيف تؤثر الأجزاء على بعضها البعض؟ وما علاقة كل جزء بالآخر...؟ لكن هذه النظرية ركزت على دور المؤسسات الاجتماعية ولم تهتم بنفس الدرجة بالفاعل الاجتماعي واذا اعتمدنا على هذه النظرية سنغفل المرأة الريفية في اطار الفلاحة العائلية التي نعتبرها في هذه الدراسة فاعلا اجتماعيا، لذلك فاننا ارتأينا أنه من الأنسب أن نعتمد في هذا البحث على التفاعلية الرمزية وهذا هو الشأن بالنسبة للفلاحة العائلية اذا ما اعتبرنا أن للمرأة دورا حاسما في المحافظة على استمرارية هذا الصنف الفلاحي العائلي في اطار ما يحدث من تغيرات اجتماعية ومع ما تواجهه من ظروف عيش و عمل صعبة ونقص في الامكانيات و المرافق، فنظرية التفاعلية الرمزية هي نظرية قابلة للتطبيق في كل مجال اجتماعي، والمرأة الريفية في هذا البحث هي فاعلة اجتماعية تسعى الى تغيير واقعها الاجتماعي من خلال قيامها بأنشطتها الفلاحية المختلفة والمتنوعة داخل وخارج المستغلة الفلاحية على الرغم من كل ما تتعرض له من صعوبات وعقبات، ونظرية التفاعلية الرمزية هي نظرية تنظر الى المجتمع من خلال كيف يتصرف الأفراد مع بعضهم البعض بصداقة أو عداوة مثلا أي من خلال علاقات التداخل في معاملة الأفراد و الجماعات لبعضها البعض في مواقف و زمان ومكان محددين، وذلك من خلال دراسة المجموعات الصغيرة كالأسرة و المدرسة والمصنع والمستشفى وغيرها من المؤسسات الأخرى، وهذه النظرية تجلب الانتباه الى حقيقة هامة وهي أن المجتمع يتكون من أفعال اجتماعية وردود أفعال متداخلة، وما يميز هذه النظرية هو أنها تقوم بملاحظة تصرفات الأفراد تجاه بعضهم البعض وطرق أكلهم و ملبسهم و طقوس زواجهم

واحتفالاتهم، وهذا ما سنحاول تحليله في اطار هذه الدراسة داخل منظومة الفلاحة العائلية من خلال محاولة تحليل العلاقات داخلها والأفعال وردود الأفعال.

فرضيات الدراسة:

في إطار هذه الدراسة ستكون لنا فرضية رئيسية هي التي يدور حولها البحث وتصاحب هذه الفرضية فرضيات أخرى فرعية سنصل فيما بعد اما الى اثباتها وتدعيمها أو الى دحضها.

الفرضية الرئيسية

في إطار ديناميكية التغير الاجتماعي وهي عملية ضخمة ومعقدة سندرس أحد عناصر هذه الديناميكية وهي المرأة كعنصر بشري والفلاحة العائلية كنشاط،

_كلما تمت تلبية الانتظارات الاقتصادية والاجتماعية للمرأة الريفية العاملة في إطار الفلاحة العائلية كلما ساهم ذلك في ارتقاء وتطوير مستوى الانتاجية في الفلاحة العائلية باعتبار أن الحل في تطوير الفلاحة العائلية وفي الارتقاء بها وفي التوفيق بين الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية هو تلبية انتظارات المرأة الريفية.

الفرضيات الفرعية

- كلما كانت الظروف الأسرية للمرأة الريفية بسبيبة معقدة وصعبة (المشاكل الزوجية، العنف الأسري بكل أصنافه مادي أو معنوي، كثرة الأبناء، علاقتها بزوجها...) كلما كانت مساهمتها في الانتاج متدنية.
- كلما كانت ظروف العمل الفلاحي مثل ظروف التنقل، غياب وسائل وأدوات العمل، الأجر، محفزات العمل، عدم توفر الحماية والوقاية...متدهورة كلما تدنى مستوى مساهمة المرأة الريفية في الانتاجية.
- كلما كان اهتمام الدولة بهذه الفئة من العاملين محدودا كلما تدنت الانتاجية.

منهج الدراسة :

سنعتمد في دراستنا لوحدات البحث المتكونة من نساء أرياف سبيبة التابعة لولاية القصرين على المنهج الكيفي

تقنية البحث:

سيقع الاعتماد في هذه الدراسة على تقنية الملاحظة البسيطة وعلى تقنية المقابلة الموجهة كما سيقع الاعتماد على تحليل مضمون بعض الوثائق المختارة.

عينة البحث:

العينة هي نموذج يشمل جانبا أو جزءا من وحدات المجتمع الاصل المعني بالبحث وتكون ممثلة له بحيث تحمل صفاته المشتركة. وهذا النموذج أو الجزء يغني الباحث عن دراسة كل مفردات المجتمع الأصل خاصة في حالة صعوبة او استحالة دراسة كل تلك الوحدات، أي أن العينة هي جزء من المجتمع تجرى عليه الدراسة ويتم اختيارها لإجراء الدراسة عليها عوضا عن اجرائها على المجتمع كله، وانتقاء العينة مفيد من حيث دقة النتائج فسيطرة الباحث على حجم العينة يؤدي الى سيطرته على البيانات وبالتالي الى الدقة في التعامل مع البيانات وتجميعها كما يوفر على الباحث الوقت فغالبا ما يكون للباحث وقت محدد لإنجاز بحثه. هذا بالإضافة الى التوفير في الجهد المبذول وفي التكاليف المالية. فكثيرا ما يكون حجم مجتمع الدراسة كبير جدا الى حد يصعب علينا ان لم نقل يستحيل الوصول الى جميع أفراد هذا المجتمع.

وفي هذه الدراسة سيقع اجراء مقابلات مع وحدة بحث مكونة من ٣٢ امرأة مقسمين بالتساوي على أربعة أرياف تابعة لمدينة سبيبة وذلك حسب المقياس المجالي. وتتراوح أعمارهن من ١٨ سنة فما فوق وسيكون من بينهن نساء متزوجات دون أطفال وأمهات وفتيات غير متزوجات (في وضعية الأخت وفي وضعية الابنة) ولمزيد التوضيح فان اختيارنا لهذه العينة كان بعد القيام ببحث أولي للمنطقة ولأهالي المنطقة. كما اعتمدنا أيضا في اختيارنا لهذه العينة على

مقياس النموذج المثال الذي من وجهة نظر" ماكس فيبر " هو عبارة عن بناء عقلي من المفاهيم المجردة و هذا النموذج المثال يكون مصمما ليساعد في فهم الواقع التجريبي لظاهرة اجتماعية معينة و هكذا يمكن استخدام النموذج المثال كآداة من أجل المقارنة بين ظاهرتين أو أكثر أو لقياس مدى تقارب الظاهرة المعطاة من هذا النمط المثالي.

اذ ستكون وحدة البحث كالآتي:

- 8نساء من "البحيرة" (هواشم)
- 8نساء من "عين الخمايسية"(اولاد مساهل).
- 8نساء من السمايرية.
- 8نساء من اولاد داود.

و لقد اخترنا ٨ نساء ليس اعتباطيا و انما ليكون هناك في كل ريف من الأرياف تنوع في وضعية وحدات البحث أي لتكون العينة في كل ريف كالاتي=

- 2نساء في وضعية الزوجة دون اطفال.
- 2نساء في وضعية الأم.
- 2نساء في وضعية الأخت.
- 2نساء في وضعية الابنة.

كما اننا اخترنا امرأتان من كل وضعية أولا لمقارنة المرأة الاولى مع المرأة الثانية في نفس الوضعية ثم لمزيد التأكد والتدقيق في وضع المرأة الريفية من كل وضعية.

التعريفات الإجرائية لمفاهيم ومتغيرات الدراسة:

.الريف :

ان تعريف الريف يطرح مشاكلا دقيقة خاصة وأن مفهوم" الريفانية "لا ينحصر في قطاع اقتصادي معين (فلاحة). كما أن تعريف الوسط الريفي المعتمد في الاحصائيات الرسمية بقي الى الآن تعريفا اداريا بالأساس ف"الريفي" يحدد في

الغالب عند استعماله في الاحصائيات بمقابلته للوسط الحضري كما تعتبر المقاطعات ذات الطابع الريفي عبارة عن أجزاء تابعة للوسط الحضري. فمن بين المقاييس التي تستعمل في تعريف السكان الريفيين على سبيل المثال نجد مقياس مقر الاقامة وهكذا يكون الريفيون هم من يسكنون في الأوساط الريفية لكن هذا التعريف لا يأخذ بعين الاعتبار أولئك الذين لهم انشطة في وسط ريفي لكنهم لا يسكنونه أو أولئك الذين لهم أنشطة متعددة في الوسطين الحضري والريفي في الآن نفسه. لهذا ومن أجل البحث عن تعريف مناسب للريف علينا الاخذ بعين الاعتبار المناطق الريفية باعتبارها مكان عمل ومكان اقامة في نفس الوقت. كما علينا عدم حصر الريف في أنشطة اقتصادية دون غيرها، وهذا ما يدفعنا للحديث عن مفهوم "المجتمع الريفي المحلي" والذي عرفه "دوايت ساندرسون" على أنه "صورة الرابطة القائمة بين الأشخاص و مؤسساتهم في منطقة محلية يعيشون فيها على الزراعة وفي قرية تمثل عادة محور نشاطاتهم الجمعية. "

-المرأة الريفية

أولا ولإيجاد تعريف مناسب "للمرأة الريفية" علينا الابتعاد عن النموذج الجاهز لصورة المرأة المشتغلة في الحقول التي تقوم بعملها يدويا والتي تتحمل اعباء تربية الاطفال وجلب الماء وجمع الحطب والاعتناء بالحيوانات...والتي لها مستوى تعليمي متواضع ونمط عيش تقليدي خاضع للنظام الأبوي. وذلك لان هذا النموذج الجاهز "للمرأة الريفية" لا يعكس تنوع أنشطتها وتعددها خاصة وأن أنشطة المرأة في الوسط الريفي لا تقف فقط عند خدمة الأرض.

هذا بالإضافة الى أن خصوصيات النساء الريفيات تختلف باختلاف خصائص الريف المنتميات له. كما أن المرأة المشتغلة في الوسط الريفي قد لا تكون من أصل ريفي اذ يمكن ان تكون من أصل حضري واختارت العمل في الريف، و هذا ما يؤكد أن النساء الريفيات لا يمثلن فئة متجانسة أو ثابتة وهذا ما

يستدعي دراستهن على أساس تصور ديناميكي يراعي مختلف التغيرات الاجتماعية.

-الفلاحة العائلية

هي مفهوم وإطار للتحليل ينظر الى العائلة والضيعة كوحدة او كمنظومة واحدة تتفاعل العناصر فيما بينها وتنتظم لتحقيق هدف داخل محيط. وهي نظام زراعي يقوم على مفهوم أساسي وهو" الضيعة العائلية " التي تعني وحدة انتاج زراعي يكون فيها العمل والملكية وثيقا الصلة بالعائلة. و بهذا فالفلاحة العائلية تختلف عن الفلاحة الرأسمالية و الفلاحة الدولية والتعاضدية و لا تعني وضعا طبقيا معينا فهي لا تتطابق تماما مع النمط الفلاحي بل تتجاوزه. و لأجل ذلك يظهر المفهوم شديد الالتباس و التعقيد فهي في نظر البعض تعبر عن وضع انتقالي من نمط انتاج الى آخر وهي بالنسبة للبعض الاخر نمط قديم يتميز بالاستمرارية و التنوع .

وعليه فانه علينا ان نوضح أكثر مفهوم "العائلة" اذ يمكن أن تضم العائلة اكثر من أسرة كما أنها لا تشترط فقط الروابط الدموية اذ يمكن أن نجد في داخلها روابطا أخرى كالتي تقوم على الميراث او الملكية المشتركة.

-التغير الاجتماعي

"كيف بقي النظام الاجتماعي قائما طيلة هذه العصور والقرون. منذ العصور الحجرية للبشرية وحتى الآن. كيف استطاع أن يعبر الاجيال المتعاقبة ويبقى صامدا. حتى أن حياة الانسان على وجه الأرض موسومة بهذا الطابع الاجتماعي...التغير الاجتماعي هو الذي يسمح للنظام الاجتماعي بالتكيف الدائم مع كل جديد. التغير الاجتماعي هو الذي يدخل التوازن الى النظام الاجتماعي (كما يقول الوظيفيون) أو الى البنية الاجتماعية (كما يقول البنيويون). فالتغير الاجتماعي هو مبدأ التعديل الاجتماعي الفوري الذي يتكيف من خلاله النظام الاجتماعي مع أي طارئ أو أي جديد بحيث يستوعب هذا الحدث و يتأقلم مباشرة معه. "

لقد كان موضوع التغير الاجتماعي يمثل في وقت ما مشكلة من أهم وأصعب المشكلات في علم الاجتماع فقد حاول "أوجت كونت" و بعض علماء القرن التاسع عشر تحديد عوامل التغير الاجتماعي و اتجاهاته خاصة بعد النتائج التي طرحتها الثورة السياسية في فرنسا و الثورة الصناعية في أنجلترا. وأصبح البحث عن نظرية للتغير الاجتماعي أو عن نظرية للديناميكية الاجتماعية يمثل نقطة محورية في اهتمام علم اجتماع القرن التاسع عشر. كما كان ظهور المجتمع الرأسمالي والحركات الثورية الاجتماعية كالنمو الحضري من الدوافع الاساسية التي جعلت علم الاجتماع يهتم بدراسة التغير الاجتماعي. وفي هذا الصدد يعتبر" كارل ماركس" أن تاريخ المجتمعات ليس الا تاريخ النضال الطبقي. أما "ماكس فيبر" فقد اتخذ من نظرية ماركس المنطلق في دراسته للتغير الاجتماعي اذ تقبل" ماكس فيبر" النظرية الماركسية فيما قررته من أن البورجوازية تسعى دائما الى مراكمة رأس المال وما يترتب عن ذلك من استغلال لطبقة البروليتاريا ثم بين "ماكس فيبر" في كتابه "الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية " الذي ترجم سنة ١٩٣٠ العلاقة الوثيقة بين الاخلاق البروتستانتية والتنظيم الرأسمالي للمشروع الاقتصادي.

ومع بداية القرن العشرين أصبحت الدراسات أكثر تفصيلا اذ أصبحت تهتم بمجتمعات محلية معينة كما أصبح علماء الاجتماع اليوم ينظرون الى التغير الاجتماعي على أنه يحدث في أي مجتمع وأي ثقافة بوضوح واستمرار كما لا يمكن عزل التغيرات من حيث الزمان أو المكان لأنها تحدث في سلسلة متعاقبة ومتصلة الحلقات أكثر من حدوثها في شكل أزمات وقتية تتبعها مراحل اعادة البناء. فدراسة التغير الاجتماعي أصبحت تتطلب الاجابة عن جملة من التساؤلات الهامة وهي ما هو الشيء الذي يتغير؟ وكيف يتغير؟ وما هو اتجاه التغير؟ وما هو معدل التغير؟ ولماذا حدث التغير؟ ولماذا كان ممكنا؟ وما هي العوامل الرئيسية في هذا التغير.؟

-الفعل الاجتماعي

نظريـة الفعـل الاجتمـاعي قـدمها عالمـا الاجتمـاع "مـاكس فيبـر" وتـالكوت بارسـونز" وتعتبـر هـذه النظريـة أن كـل سـلوك هـو سـلوك هـادف، فالفاعـل الاجتماعي يختار جملة من الوسائل وأنماطا معينة من السلوك لبلوغ غايته، أي اختيار الفاعل الاجتماعي للوسائل التي تحقق هدفه دون وسائل أخرى، ويعرف "ماكس فيبر" الفعل الاجتماعي على أنه "صورة السلوك الانساني «الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي أو الخارجي الذي يكون معبرا عنه بواسطة الفعل أو الاحجام عن الفعل". اذ يعتبر "ماكس فيبر" أن لكل فعل قصد معين أي أن للفعل الاجتماعي معنى عند الفاعل .

الإطار التطبيقي للبحث

الفصل الأول الخصائص العامة لمنطقة البحث والمرأة الريفية في ظل التغيرات الاجتماعية بسبيبة

(1) خصائص منطقة البحث:

***مساحة المنطقة وحدودها**

تقع مدينة سبيبة بالشمال الشرقي لولاية القصرين من البلاد التونسية. يحدها من الشمال ولاية سليانة و من الجنوب مدينة سبيطلة و من الشرق ولاية سيدي بوزيد و من الغرب جدليان والعيون. و"تقع ولاية القصرين بالوسط الغربي للبلاد التونسية على شريط ممتد بطول ٢٠٠ كم مع الحدود الجزائرية. كما أنها محاذية لأربع ولايات داخلية. قفصة جنوبا. الكاف من الشمال. وسليانة وسيدي بوزيد من الشرق.

تمسح الولاية ٨٢٦٠ كم٢. وتزايد عدد سكانها من٤١٢,٣ ألف نسمة حسب التعداد العام للسكان والسكنى لسنة ٢٠٠٤ الى ٤٣٢,٣ ألف نسمة حسب تقديرات سنة ٢٠١٠ يتميزون بطابعهم الريفي حيث أصبح سكان الريف يمثلون ٥٩,٤ بالمائة. ويحتل القطاع الفلاحي مكانة هامة في اقتصاد الولاية اذ لا يزال يستقطب ثلث النشيطين المشتغلين "

*تاريخ مدينة سبيبة

كانت سبيبة مدينة رومانية إسمها " سوفاس "Sufes – وهي كلمة تعني العين الصغيرة. و "سوف " بالبربية تعني "الوادي" وأول المؤسسين لمدينة سبيبة هم الرومان وكان ذلك في القرن الثاني قبل الميلاد، لذا تعتبر سبيبة من أقدم المدن وأعرقها في التاريخ .

ويقول عنها "إبن حوقل" الرحالة المغربي الذي مر بالمدينة سنة ٣٣٢ هجري في كتابه (صور الأرض):" مدينة سبيبة مدينة أزلية كثيرة المياه والأحنة، وعليها سور من حجارة حصين وبها ربض فيه الأسواق والحانات وسكانها شربهم من عين جارية مياهها كثيرة تسقي بساتينهم وأجنتهم، وهي على مر الأيام كثيرة الفواكه رخيصة الأسعار، ويغلب على غلاتهم الكمون والكروية والبقول والكتان والزعفران ولهم ماشية كثيرة وبها طرق رئيسية جادة تربطها بالقيروان وقرطاج."

بسبيبة الآن آثار رومانية كبيرة وبها مسارح وكنائس وحمامات وحنايا تنتهي إلى حوض مربع وإلى معبد لعرائس المياه هلالي الشكل، كما تحتوي مدينة سبيبة على كنيستان ملوكيتان الأولى لها ستة صفوف من الأعمدة وقد حول العرب المسلمون هذه الكنيسة إلى جامع والثانية ذات ثلاث بلاطات وتحيط بالمدينة ثلاثة أسوار وتوجد هذه الآثار في طريق "السواني" من المدخل الثانوي للمدينة وتمتد على مساحة ٢,٥ هكتارا وتحتوي على آثار إسلامية تعرف بآثار "عقبة."

وقد مرت مدينة سبيبة بمرحلتان تاريخيتان، أولهما المرحلة القديمة حيث كانت بلدة "سوفاس" قلعة من أول عهد الإمبراطورية "ماركو أوريكيوس"، وقد اعتنق أهلها النصرانية في القرن الثاني للميلاد فظهر بها أساقفة ورؤساء للنصارى ثم جعلها العرب المسلمون عاصمتها الوقتية قبل بناء القيروان ومسجدها هو أول مسجد بالبلاد قبل أن يبني "مسجد عقبة" ووقعت فيها سنة ٤٥٧ هـ/١٠٦٥ من المعركة المعرفة بـ " معركة سبيبة" بين "بني حماد" وحلفائه من "صنهاجة"

و"زناتة" من جهة ومن جهة أخرى "المعز بن زيري " والقبائل العربية "زغبة" و"رياح" وانتهت هذه المعركة بهزيمة "بني حماد" وخلفائه.

***ما تقوله الأسطورة**

يروى في التاريخ المحلي لمدينة سبيبة أن ابنه البطريق "غريغريوس" أو ما يسميه العرب "جرجير" وهو أكبر ملوك الروم الذي انتصر عليه العبادلة في واقعة "سبيطلة" فرت من "عبد الله بن الزبير" إلى هذا المكان وكان اسمها "سبيبة"، ويربط "سبيبة" بـ "سبيطلة" نفق مازال موجودا إلى الآن كان الفاتحون المسلمون قد استعملوه في حربهم ضد "غريغريوس" أو "جرجير" ومدخل هذا النفق من مخزن أحد مقاهي المدينة.

***الموقع الجغرافي لمدينة سبيبة**

تقع مدينة سبيبة في الوسط الغربي للبلاد التونسية و تبعد عن مدينة القصرين مركز الولاية حوالي ٧٠ كلم ويفصلها عن العاصمة حوالي ٢٢٨ كلم باتجاه الشمال (الطريق الوطنية٤)، يحدها من الشمال معتمدية جدليان ومن الجنوب معتمدية سبيطلة التي تفصلها عنها حوالي ٣٥ كلم ومن الغرب معتمدية العيون ومن الشرق معتمدية الروحية.

***بعض الخصائص العامة لمنطقة البحث**

*السكـــان: يبلغ عدد سكان بلدية سبيبة ١٠٩٥٩ ساكنا سنة ٢٠٠٤ أما معتمدية سبيبة فيبلغ عدد سكانها ٤٢٠٩٢ ساكنا .

*التـــربية: يوجد بمعتمدية سبيبة معهدان ثانويان "معهد سبيبة" و معهد " المنجي سليم" وثلاث مدارس إعدادية، إثنتان موجودتان في بلدية وهما "المدرسة الإعدادية بسبيبة" و "المدرسة الإعدادية – محمود المسعدي" والثالث توجد "بعين الخماسية" وهي "المدرسة الإعدادية عين الخماسية "

*الإقتصـــاد: يقوم اقتصاد سبيبة على الفلاحة وخاصة إنتاج التفاح منذ الستينات والطماطم منذ بداية العقد الفارط، كما يعتمد الاقتصاد في سبيبة بدرجة أقل على التهريب من الجزائر (تهريب الإلكترونيك أو المحروقات).

*الثقافة: تحتفل مدينة سبيبة سنويا بمهرجان التفاح الذي تأسس سنة ١٩٧٩، إذ تعتبر مدينة سبيبة من أكبر مناطق الجمهورية المختصة في الإنتاج الفلاحي وبدرجة أولى إنتاج التفاح بمختلف أنواعه مثل "Golden" أو "Ritchard"ويضم مهرجان التفاح برامجا ثقافية ورياضية وترفيهية كما يتضمن أيضا بعض الندوات العلمية كالتي حول واقع وآفاق قطاع التفاح في الجهة أو الأمراض التي تصيب غراسات التفاح.

*الرياضة: لمدينة سبيبة نادي رياضي لكرة القدم يسمى "النجاح الرياضي بسبيبة."

*البنوك: يوجد بمدينة سبيبة بنكان وهما "البنك القومي الفلاحي" و"الاتحاد الدولي للبنوك."

*الإعلام: يمكن أن نذكر بعض الشخصيات المشهورة والتي تنتمي إلى مدينة سبيبة :

-أبو القاسم زيدون ابن علي (القرن ٥هـ) له كتاب "جامع الأحكام."

-عبد البارئ السبيبي: فقيه في علم الكلام.

-محمد بن إبراهيم السبيبي " خطيب بالمهدية.

*الأولياء الصالحون: لكل عرش في مدينة سبيبة مقبرة خاصة به، يدفن فيها إما أصحاب اللقب الواحد أو المنتمون إلى نفس "القبيلة"، "كجبانة الهواشم" أو " جبانة سماته" على سبيل المثال وكل مقبرة تشيد حول مقام لولي صالح خاص بهذا العرض وهو بالنسبة للأهالي بمثابة الحارس لهذه القبور، مثال الشيخ عمر السماتي له مقام حوله مقبرة سماته، "جدي نصر" له مقام يدفن حوله الهواشم الذين من بين ألقابهم "الخلفي" و "الحسني"، ومن بين الأولياء الصالحين الآخرين في مدينة سبيبة يمكن أن نذكر :

- إمحمد أبوصاع: ولي صالح ليبي مدفون بمدينة سبيبة.
- الشيخ الهادي الحفيان: ولي صالح .
- الشيخ الحسناوي الرمضاني: ولي صالح.

تطور عدد السكان حسب الوسط

دائما ما نتساءل حول ما إذا كان التحكم في النمو السكاني يعتبر شرطا ضروريا لعملية التنمية الاقتصادية؟ خاصة و أن الدول الرأسمالية المتقدمة ترى بأن دول العالم الثالث لن تخرج من دائرة الفقر الا اذا تحكمت في نموها السكاني، و ما نلاحظه من خلال جدول تطور عدد السكان حسب الوسط هو أن الارتفاع في عدد السكان يشمل الوسط البلدي وغير البلدي بسبيبة، كما يساهم عدد السكان في الوسط غير البلدي بسبيبة بنسبة كبيرة في مجموع السكان في الوسط غير البلدي بكامل الولاية، و هذا الأمر يجعلنا نتساءل حول اذا ما كان هذا الارتفاع في عدد السكان بالوسط غير البلدي(الريفي) مقصودا أو أنه يحدث بصورة تلقائية غير مخطط لها أي هل أن الارتفاع في عدد الولادات بالوسط الريفي بسبيبة له هدف معين كإنجاب عدد كبير من الأطفال لخدمة الأرض فيما بعد، أي لتوفير القوة العاملة التي تستلزمها عملية الزراعة. (الزيادة في نسبة اليد العاملة في كل عائلة في الريف)، أو أن ذلك يحدث بصورة تلقائية، و هنا في كلا الحالتين لهذا الارتفاع تأثير على التنمية الاقتصادية بصفة عامة اذ كلما زاد النمو السكاني بشكل أكبر كلما قلت القدرة على تجميع الموارد اللازمة للتنمية الاقتصادية، ذلك لأن النمو السكاني المرتفع، قد يؤدي إلى ارتفاع نسبة البطالة والإضرار بعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية وإعاقتها، إن لم يواكب الارتفاع هذا نمو اقتصادي مناسب لأنه يؤثر في كفاية السكان من المواد الغذائية، و في السكن وفي التعليم و في الخدمات الصحية وفي حجم و معدلات البطالة و الباحثين عن العمل...ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو بأى قدر تتأثر قدرة المجتمع على تجميع الموارد نتيجة للنمو السكاني، أي هل أن العائلات وفيرة العدد بأرياف سبيبة يمكن لها توفير مستوى دخل أكبر من العائلات صغيرة العدد نتيجة لارتفاع نسبة القوة العاملة (قوى الانتاج) بهذه العائلات. وهنا سنركز تحديدا على مساهمة المرأة في كل هذا، بمعنى أن اهتمامنا سينصب على دور المرأة في هذا المجال.

وقضية المرأة هي بالحقيقة قضية نصف المجتمع من الناحية الكمية، فحسب نتائج التعداد العام لسكان و السكنى الصادر عن المعهد الوطني للإحصاء في ٢٠١٤ تعد تونس ١٠ ملايين و٩٨٢ ألف و٧٥٤ ساكنا (بما في ذلك الأجانب)، يقطن ربعهم في إقليم تونس الكبرى.

وقد فاقت نسبة الإناث في السكان المقدرة ٢,٥٠ بالمائة نسبة الذكور التي بلغت ٨,٤٩ بالمائة في تعداد سنة ٢٠١٤ مقابل ١,٥٠ بالمائة للذكور و٩,٤٩ بالمائة للإناث في تعداد سنة ٢٠٠٤. وهي في نفس الوقت قضية المجتمع كله من الناحية الكيفية، ذلك أن مساهمة المرأة الفعّالة في المجتمع تضيف مورداً بشرياً هاماً لمواجهة صعوبات التغيرات الاجتماعية والتطور والنمو.

*ظروف عيش السكان والأسر

ان تدني البنية التحتية و الخدمات والمرافق الأساسية و ظروف العيش في المناطق الريفية عموما وخاصة منها في أرياف مدينة سبيبة جعل المرأة الريفية تأخذ على عاتقها جزءا كبيرا من الأعباء التي من بينها عبئ توفير المياه الصالحة للشراب في غياب التزود بالماء الصالح للشراب في العديد من المناطق الريفية التي مازالت لا تتمتع بأبسط ضروريات الحياة، فمن بين النساء الريفيات في سبيبة من مازلن والى اليوم يقمن بنقل الماء حملا على أكتافهن اذ يقطعن مسافات طويلة وشاقة لتأمين كمية بسيطة من الماء للعائلة، وهنا يجب علينا أن نشير الى أن مهمة جلب الماء في الريف أوكلت منذ القدم الى النساء فهو دور موروث ثقافيا بالنسبة للمرأة الريفية ويعتبر من غير المقبول ثقافيا في الريف أن يقوم الرجل بذلك على الرغم من أن هذه المهمة تحتاج الى طاقة ومجهود كبيرين، وهذا من غير المقبول لأن ذلك يعتبر تقليلا من شأنه وعدم اعتراف بهيبته اذ يصبح الرجل محلا لسخرية الآخرين بما أن هذا العمل هو فقط خاص بالنساء، وهنا يظهر لنا مفهوم الذكورة بوصفها نبالة كما أشار الى ذلك عالم الاجتماع بيار بورديو في كتابه الهيمنة الذكورية .

ان عدم تمتع بعض العائلات الريفية بالطاقة الكهربائية يعتبر عاملا آخرا من العوامل المعرقلة للقيام بالأنشطة الريفية المختلفة فما يمكن ملاحظته هو السكون وتوقف الحركة في الأرياف التي لا تتمتع بالطاقة الكهربائية مع نزول الليل واستئنافها فيما بعد لنشاطها في الصباح، اضافة الى هذا يستطيع أن يكون غياب الطاقة الكهربائية في بعض أرياف سببية سببا آخر من أسباب الانقطاع المدرسي المبكر للتلاميذ في الريف و خاصة منهم الفتيات .

***التعليم :**

إن الانقطاع عن الدراسة في سبيبة يكثر في المرحلة الثانية أساسي أما بالنسبة لنسبة النجاح في البكالوريا فتعتبر نسبة متوسطة مقارنة ببقية معتمديات ولاية القصرين الأخرى، وهذا يعود من جهة الى تكاليف التعليم التي تعتبرعقبة خاصة بالنسبة الى العائلات الفقيرة في المناطق الريفية ومن جهة أخرى الى المسافة الطويلة والشاقة التي يقضيها التلميذ سيرا على الأقدام و مع الظروف المناخية الصعبة ليتمكن من الوصول الى المدرسة أو المعهد الثانوي، و هنا يمكننا القول أن تقليل المسافة بين المنزل و المدرسة قد يرفع من نسبة التحاق التلاميذ بالتعليم حيث أنه يمكن لبناء المدارس المحلية داخل المجتمعات الريفية أن يساهم في تقليل هذه المسافة و بالتالي المساهمة في الرفع من نسبة التحاق التلاميذ بالتعليم في هذه الأوساط وخاصة منهم الفتيات باعتبار أن احتمالات ترك الفتيات الريفيات للتعليم تزيد عن احتمالات ترك التعليم لدى الفتيان وذلك يعود الى عدة أسباب و تقاليد فكرية ناتجة عن المجتمع الأبوي الذكوري كالتي من قبيل تعويد البنت على دور الزوجة والأم منذ الصغر واعتبار أن التعليم بالنسبة للبنت يأتي في مرتبة ثانية بعد تدريبها على الأعمال المنزلية.

***الصحـة :**

توزيع مؤسسات الصحة العمومية بالقصرين على عكس القصرين الشمالية لا وجود في مدينة سبيبة لطب الاختصاص مثلها مثل جميع المعتمديات الأخرى

التابعة لولاية القصرين، و حتى مع وجود مستشفى محلي في سبيبة المدينة فانه لا يشتمل على طب الاختصاص بالإضافة الى طول المسافة التي يقطعها المريض من الريف الى المدينة و قسوتها للوصول الى المستشفى، هذا ولا يجب أن نغفل أن المرأة الريفية تقضي وقتا يفوق ما تقضيه المرأة في الوسط الحضري في الحياة الانجابية، وبالنسبة للنساء الريفيات في أرياف سبيبة ليس من الغريب عليهن مسألة الولادة في المنزل لكن هذا لا يعني أن أغلبهن يتوجهن للمستشفى للولادة الطبيعية أما في حالات الولادة القيصرية فان هذا يكون عادة في المستشفى الجهوي للقصرين، وعليه فانه على المتدخلين في هذا المجال تقريب خدمات الصحة الانجابية وتطوير هذا المجال فيما يتعلق برعاية الحامل ومتابعتها بعد الولادة.

ان ابتعاد سكان الريف عن مؤسسات الصحة يعتبر من أكثر الصعوبات وضوحا خاصة وأننا لاحضنا لدى العديد من المستجوبات شكوى متواصلة خاصة من بعض الأمراض، فالنسق الحياتي المتعب الذي تعيشه المرأة الريفية بسبيبة كما تقول المستجوبات خلف لهن العديد من الأمراض المزمنة كالسكري وضغط الدم والكحلي بالعينين وآلام الظهر...وهذا ما يجعلنا نتساءل حول مبدأ حرية الوصول والرعاية المجانية لكل المواطنين في المستشفيات الحكومية.

*** الثقافة :**

يحتاج القطاع الثقافي في مدينة سبيبة إلى الدعم والتطوير، إذ يعتبر قطاعا ضعيفا إذا ما قارناه ببقية المعتمديات الأخرى فمدينة سبيبة تحظى بأقل الأرقام سواء كان ذلك بالنسبة لعدد المكتبات العمومية أو عدد المقاعد أو الكتب كما لا توجد بها الكثير من الفضاءات الترفيهية إذا تفتقر مدينة سبيبة للقطاعات الرياضية والمسابح حسب إحصائيات المندوبية الجهوية للشباب والرياضة والتربية البدنية ٢٠١٠.

ان الحديث عن الفضاءات الشبابية والفضاءات الثقافية يدفعنا الى الحديث عن مفهوم أساسي في هذا المجال و هو مفهوم "الترفيه" والترفيه هنا نقصد به أي

نشاط يقوم بتوفير تسلية للأشخاص في وقت فراغهم ليجددوا طاقاتهم النفسية والذهنية وهذا النشاط قد يكون من قبيل المشاركة في المسرح أو السينما أو الرسم ، كما تعتبر الأنشطة مثل القراءة أو التمرين عن العزف ترفيها، والرياضة أيضا أو قضاء الوقت في القيام بهوايات معينة، لكن المرأة العاملة في الريف تعتبر بعيدة كل البعد عن التفكير في القيام بهذه الأنشطة ليس لأنها غير راغبة في ذلك و انما لضرورة الحياة التي فرضت عليها أن تبذل كل مجهوداتها و طاقاتها ووقتها في العمل الفلاحي وغيره من الأنشطة الخارجية الأخرى لتسطيع توفير أبسط ضروريات الحياة، خاصة مع غياب وجود هذه الفضاءات الترفيهية تماما بالأوساط الريفية، اذ يصبح هذا النوع من الترفيه بالنسبة للمرأة الريفية بسبيبة أمرا غير معترف به حتى أن بعض المستجوبات قد ضحكن أثناء توجيه سؤال بخصوص هذا المجال لهن .

لكن من ناحية أخرى تقيم مدينة سبيبة سنويا مهرجان التفاح، اذ تعتبر سبيبة صاحبة المرتبة الاولى وطنيا في انتاج التفاح بمعدل سنوي يقارب ٥٠ ألف طن (حسب ما ورد على لسان العديد من الفلاحين والعاملين بخلية الارشاد الفلاحي بمدينة بسبيبة)، وينتظم مهرجان خاص بالتفاح في مدينة سبيبة يضم سهرات خاصة بالأطفال، و مسابقات للألعاب الفكرية كالشطرنج و دورات في كرة القدم و سهرات للمواهب المحلية كالمسرح والرقص الشعبي والندوات العلمية حول غراسة التفاح ثم يكون اختتام المهرجان في كل سنة بتنظيم المعرض الاقتصادي لتقديم نماذج من نوعيات التفاح المنتجة بجهة القصرين وتعريف ضيوف المهرجان على كيفية جني التفاح وتذوقه وتعريفهم أيضا على أصنافه و خاصة " الجولدن " الأحمر و الأصفر ذي الشهرة العالمية الذي تصدر أغلب كمياته الى الأسواق العالمية عن طريق شركات تتولى تخضير بساتينه وانتاجه بصفة مسبقة من أصحابها (الفلاحين الكبار) مقابل مبالغ هامة وتتولى بنفسها ترويجه. أما بقية المنتوج فتخصص لها عشرات مراكز

التبريد بكل من سبيبة وسبيطلة و فوسانة و القصرين لتخزينها. وقد أطلقنا على أصحاب هذه البساتين تحديدا تسمية "الفلاحين الكبار" وذلك لأنهم لا يمتلكون فقط المستغلات الشاسعة وانما يقومون أيضا باحتكار السوق من خلال التحكم بالأسعار والمشاتل والأسمدة...و لهذا يبقى المستفيد الأول من هذا المهرجان رغم صداه الثقافي هم الفلاحون الكبار وأصحاب المستغلات الفلاحية الشاسعة.

***القطـاعات**

١) القطاع الفلاحي :

يحتل القطاع الفلاحي مكانة متميزة في اقتصاد الجهة وذلك باعتبار الدور الهام الذي يلعبه في تحقيق الأمن الغذائي والمساهمة الفعلية في تكريس التوازنات الاقتصادية وتوفير مواطن الشغل. وحيث تغلب الأراضي المحترثة على المراعي والغابات في منطقة سبيبة، لكن ومن ناحية أخرى تساهم المراعي سبيبة نسبة كبيرة في مجموع المراعي بكامل الولاية.

تعتبر المحافظة على المياه والتربة وحماية الأراضي الفلاحية من أهم الأهداف التي تسعى الى نشرها خلايا الارشاد الفلاحي للمحافظة على الموارد الطبيعية وذلك لوجود مساحات مهددة بالانجراف وهذا يرجع لعدة عوامل منها

_العامل التبوغرافي (منحدرات كبيرة ومتوسطة في بعض المناطق كالأراضي المحاذية للوديان مثلا).

_عامل هشاشة التربة (الافتقار الى الموارد العضوية).

_عامل الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية والاستغلال العشوائي للتربة.

_عامل المناخ (تذبذب هطول الأمطار وتوالي فترات الجفاف).

كل هذه العوامل وغيرها يعرض الأراضي الفلاحية في سبيبة للانجراف المائي والهوائي .

يمثل قطاع الغابات ثروة طبيعية اذ يساهم في المحافظة على التوازن البيئي والبيولوجي كما يحد من تأثيرات تغير المناخ، اذ يلعب دورا أساسيا في حماية

الأرض من الانجراف ومقاومة التصحر، ويوفر القطاع الغابي أيضا خدمات اجتماعية متعددة حيث نجد أن العديد من العائلات تعيش ضمن الفضاء الغابي، كما يساهم الفضاء الغابي في تغطية الحاجيات العلفية للماشية.

***إنتاج الأعلاف :**

يخصص بعض الفلاحون الكبار في سبيبة مساحة من المستغلة لإنتاج "قرط القصيبة" و "العلف الأخضر" بينما لا وجود لإنتاج "السيلاج" و "الذرة العلفية"، ومن ناحية أخرى نجد أن الفلاحين الصغار يعتمدون في أغلب الأحيان على الفضاء الغابي والمراعي لتغطية النقص في الأعلاف الذي ينتج عن عدم التمكن من اقتناء الأعلاف نتيجة النقص في الامكانيات المادية، فالتزود بالأعلاف يطرح العديد من الاشكاليات التي يتمثل أبرزها في ارتفاع الأسعار والاحتكار في البيع و غياب الشفافية في التعاملات بين المزودين والمقتنين و أيضا ندرة الموارد العلفية .

تعتبر مدينة سبيبة أكبر منتج للتفاح في البلاد التونسية كما تنتج كذلك نسبة لابأس بها من الخوخ والمشمش وزيتون الزيت وزيتون الطاولة واللوز.

يحتل القطاع الفلاحي وخاصة انتاج الأشجار المثمرة (التفاح بصفة خاصة) مكانة متميزة في اقتصاد الجهة، وهذا ما جعل الجهة تعرف بهذا المنتوج الفلاحي بالتحديد في الأسواق الخارجية الأخرى، و نجد أن الفلاح ينتظر هذا الموسم (موسم جني التفاح) لأن أغلب مشاريعه المادية والحياتية مرتبطة بصفة مباشرة أو غير مباشرة بهذا الموسم.

***الموارد المائية الطبيعية بالمنطقة**

يشق مدينة سبيبة العديد من الوديان كوادي الدفلة، وادي الحمار، وادي السنقة، وادي العرعار، وادي حمزة، وادي الزيتون، وادي المالح، وادي لمسان، وادي ولجة عقيل، وادي سلاني، وادي المريرة، وادي البير، وادي الجمل،

وادي الـرتم، وادي خنقـة فـرس عبـد الله، وادي القرقيبـة، وادي لامـج، وادي الرمل، الكنطرة . وتعتبر هذه الأودية بالنسبة لبعض الفلاحين مصدرا هاما للموارد المائية التي سيقع الاعتماد عليها فيما بعد في عملية السقي، أما بالنسبة لبعض الفلاحين الآخرين وخاصة منهم الفلاحين الصغار الذين يمتلكون مستغلات فلاحية مجاورة للوادي تمثل هذه الوديان مشكلا كبيرا، اذ أنه وفي كل مرة يمتلئ فيها الوادي بمياه الأمطار يأخذ معه جزءا من هذه الأرض فنجد أن أغلب المستغلات الفلاحية المجاورة للوديان قد صغر حجمها نتيجة هذه المياه الجارفة.

٢) قطاع الصناعة

تعتبر سبيبة من الأماكن الهامة في إنتاج "الطين الكاورلونيتي" و "الطين السمكتيني" و "الطين الأبيض "، وهذه الأصناف من الطين هي التي سيقع الاعتماد عليها فيما بعد من طرف المرأة الريفية كمادة أولية لصناعة بعض أصناف الأواني المطبخية وصناعة منتوج يدوي محلي يعرف بال"الطابونة" التي تستعملها المرأة الريفية في تحضير الخبز المنزلي الذي بدوره يقع توجيهه أحيانا أما الى السوق الأسبوعية أو تقف به المرأة على جانبي الطريق الوطنية القاطعة لمدينة سبيبة لتقوم ببيعه و هذا النشاط يعتبر مصدر دخل خارجي تلجأ اليه المرأة الريفية متى احتاجت ذلك.

٣) الخدمات:

تحظى مدينة سبيبة بعدد لابأس به من نقاط البيع بالتفصيل مقارنة ببقية المناطق الأخرى من الولاية بينما يعتبر عدد نقاط البيع بالجملة فيها عددا ضعيفا نسبيا حسب ما أشارت إليه مصلحة مراقبة الأداءات الإدارة الجهوية للتجارة لسنة ٢٠٠٩.

٢) التغيرات الاجتماعية بأرياف سبيبة :

١.٢) التغيرات الاجتماعية على مستوى السكن

***تموقع المساكن :**

تتركز المساكن في أرياف سبيبة في مجموعات أو وحدات صغرى يطلق عليها اسم "الدوار" ويجمع الدوار عادة بين مجموعة من العائلات التي يربطها نوع معين من القرابة (إما من أبناء العرش الواحد أو النسب).

وتعتبر مصادر الماء هي ما يجذب سكان هذه المساكن، أما بالنسبة للأجيال الجديدة فإن ما يجذبها للسكن بالدوار هو عامل الميراث لكن مع ظهور مجموعة من التغيرات الاجتماعية التي شهدتها الأرياف مثل تفتت الميراث وظهور الطرقات المعبدة أصبح ما يجذب السكان هو الطريق المعبدة وذلك لقوة العلاقة بين الريف والمدينة كالذهاب للسوق الأسبوعية لمدينة سبيبة والتي تقام كل يوم جمعة، إما من أجل التزود بالحاجيات الغذائية أو من أجل تسويق المنتوج الفلاحي أو الذهاب للمعاهد الثانوية والمدارس أو المستشفى للتداوي وحتى فيما يتعلق بوسائل النقل فقد ساعدت هذه التغيرات الفلاحين الصغار في النزول إلى المدينة إذ كانوا يستعملون الوسائل التقليدية للتنقل كالدواب وأصبحوا بحكم ظهور الطرقات المعبدة والجسور يقتنون وسائل حديثة للتنقل كالسيارات الفلاحية أو النقل الريفي.

***الهندسة السكنية**

إن ما يطغى على أصناف المساكن في أرياف سبيبة هو ما يعرف "بالحوش العربي" الذي يتكون من مجموعة غرف (٢ أو ٣) تتوسطها مساحة غير مغطاة وعادة ما يكون "الحوش" وسط قطعة الأرض الفلاحية، وتختلف هذه المساكن فيما بينها باختلاف مستوى الدخل.

أما بالنسبة إلى المكونات الفلاحية للمسكن كالمخزن والإسطبل فهي تختلف في تموقعها باختلاف درجة مقربتها من مصادر الإنتاج النباتي.

٢.٢) التغيرات الاجتماعية وتأثيرها على الأسر

- **العائلة الممتدة بين الاستمرارية والإندثار**

إن ما يميز العائلة الممتدة هو أنها متكونة من ثلاثة أجيال وذلك بسبب الميل إلى كثرة الإنجاب كسلوك ديمغرافي يلجأ إليه الفلاحون من أجل توفير اليد العاملة لخدمة الأرض باعتبار أن الفلاحة العائلية تعتمد على أفراد العائلة في خدمة الأرض.

فالعائلة الممتدة في أرياف سبيبة مازالت تحتفظ بأهمية عددية خاصة وأن زيادة عدد الأبناء تعتبر ضرورة اقتصادية بالنسبة للفلاحة العائلية.

- **الحداثة وتأثيرها على الأسر**

مازالت التقاليد العصرية في أرياف سبيبة هشة لكن هذه التقاليد بدأت تنفتح شيئا فشيئا على الحداثة ونلاحظ ذلك خاصة من خلال الأجهزة والوسائل المنزلية كأجهزة التلفاز والهوائي التي وجدته في العديد من المنازل إضافة إلى توجه النساء إلى المدينة من أجل العمل ومواكبتهن للباس الحضري عوض اللباس الريفي البربري. الا أن انخفاض مستوى تعليم النساء الريفيات و تفشي ظاهرة الأمية نتيجة التسرب من المدارس و الزواج المبكر والانغماس بالأعباء الزراعية و المنزلية ووضع المرأة في مرتبة دونية في عدد كبير من العائلات تعتبر كلها من المعوقات التي تحد من أهداف و طموحات المرأة في الريف ، ومن هذه المعوقات نجد أيضا الموقف التقليدي للرجال من النساء (من الدور الاجتماعي لكل منهم)، الأعراف والمعايير الاجتماعية السائدة للنساء الريفيات، وضعف الامكانيات المادية المخصصة للنهوض بهذه الفئة.

٢. ٣) التغيرات الاجتماعية وعلاقة سكان الريف بالمدينة

***المدينة واستقطابها لسكان الريف**

إن الحديث عن المدينة يدفعنا مباشرة إلى الحديث عن مدى إنفتاح الفلاحة العائلية كمنظومة على مختلف التأثيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمدينة ودرجة انخراطها في السوق لكن هذه الحاجة إلى المدينة لا تهم حاجة

المستغلة الفلاحية بقدر ما تهم حاجة الأفراد إلى مختلف خدمات المدينة كالحاجة للتداوي أو التعليم أو التزود ببعض المواد العذائية أو الحاجة إلى التعامل مع بعض المؤسسات العمومية أو الإدارية أو المحطة، أو أحيانا باعتبار أن المدينة تمثل مكانا للعمل أو للترفيه. لكن الوظيفة الأساسية للمدينة و التي تهم بدرجة أولى الفلاح هي مرتبطة بالسوق الأسبوعية التي تقام كل يوم جمعة.

***المدينة والفلاحين الكبار (الفلاحين الرأسماليين)**

أصبح استقرار الفلاحين بالمدينة مظهرا من مظاهر التباهي الاجتماعي فيما بينهم خاصة وأن كبر حجم المستغلة وامتلاك وسائل النقل والقدرة على تشغيل اليد العاملة يمكن كبار المستغلين من الاستقرار بالمدينة للاقتراب من خدماتها وإدارة المستغلة عن بعد.

٢ . ٤) الفلاحة العائلية والمردودية الاقتصادية

يحد صغر حجم المستغلة في الفلاحة العائلية من المردودية الاقتصادية لها هذا بالإضافة إلى أن الفلاحة العائلية لا تقوم على اليد العاملة الأجيرة التي يتطلب توفيرها مبالغ مادية معينة يعجز الفلاحون الصغار عن توفيرها وإنما تقوم على اليد العاملة العائلية.

٣) الخصائص العامة للمرأة الريفية بسبيبة

٣. ١) المظهر العام للمرأة الريفية بسبيبة

للمرأة الريفية بسبيبة جملة من الخصائص التي تجعلها تختلف عن غيرها من النساء الريفيات الأخريات ومن ذلك مظهرها العام وطريقة لباسها وعاداتها وتقاليدها في الاحتفالات و المآتم و طريقتها في الحديث و هذه الخصائص يمكن أن تختلف من امرأة الى أخرى باختلاف الريف أي أنه يمكن تمييز المرأة الداودية (من ريف أولاد داود في سبيبة) على المرأة الهاشمية (من البحيرة) على سبيل المثال من خلال هذه الخصائص.

اذ ترتدي المرأة الهاشمية ما يعرف ب"الملحفة" و "الحزام العربي" و تضع "السخاب" وهو نوع من الحلي تضعه المرأة للتزين يحمل رائحة معينة نستطيع تمييزه بها كما تضع على جبينها "محرما" منقوش عليها بعض الورود و عادة ما تكون هذه "المحرما" خضراء أو زرقاء اللون و تلف بقية رأسها بأخرى و تضع أيضا المرأة الهاشمية الحلي الفضية وخاصة منها ما يعرف ب"الحجر العربي" و أيضا ال"خيوط الفضة" و هي عبارة عن أساور فضية تلبس في اليد اما اليمنى أو اليسرى و عادة ما تكون ٣ أو ٦ أو ١٢، و كذلك الشأن بالنسبة للمرأة من السمايرية و من عين الخمايسية فهما لا تختلفان كثيرا عن المرأة الهاشمية في مظهرها العام، لكن هذا الاختلاف يمكن أن نلاحظه عند المرأة الداودية (من ريف أولاد داود)، فهي ترتدي عادة "ملحفة" حمراء اللون حفت بنوع من القماش الحريري الأسود يطلق عليها "ملحفة بالسلك" كما تضع على جبينها "محرما" حمراء اللون و تلف بقية الرأس بأخرى يمكن أن يختلف لونها من امرأة الى أخرى، الاختلاف أيضا لاحظناه بالنسبة "للحزام العربي" الذي يختلف عند المرأة الداودية عن غيره من الأحزمة الأخرى لدى النساء الريفيات الأخريات الا أن هذا الحزام عادة ما يكون أصفر اللون لدى جميع نساء أرياف سبيبة.

ما لاحظناه أيضا هو أن هذا المظهر العام للمرأة الريفية في سبيبة قد تغير وأدخلت عليه بعض التعديلات الجديدة بالنسبة للنساء اللاتي يذهبن الى سبيبة المدينة من أجل اقتناء بعض اللوازم أو تسويق المنتوج الفلاحي، اذ أصبح بعضهن يرتدين ما يطلق عليه "السوري" أي أنهن تخلين على لباس "الملحفة" و أصبحن يرتدين الفساتين والجلابيب...كما أن بعض الشابات منهن لم يعدن يغطين رؤوسهن، و من جهة أخرى اكتفت بعض النساء الأخريات بإضافة قطعة جديدة على اللباس الأصلي أو تغييرها و لم تتخلى عن لباس "الملحفة."

٣ . ٢) بعض الخصائص الثقافية للمرأة الريفية بسبيبة

للمرأة الريفية بسبيبة طريقتها الخاصة في الاحتفال خاصة اذا تعلق الأمر بالأعراس فهي تتزين بحليها الفضية و تظهر القليل من شعرها على جانبي جبينها وهذا ا يطلق عليه "السوالف" و يكون شعر المرأة الكبيرة في السن عادة مصبوغ بلون الحناء، كما تطلق النساء الريفيات في سبيبة أيضا بعض الأناشيد و الأغنيات المعبرة التي تعرف في اللغة المحلية ب"الطرق"، أما في طريقة السلام بين النساء الريفيات فهي تكون عن طريق امساك احداهن بيد الأخرى و تقبيلها و العكس بالعكس و تعاد هذه العملية مرتان أو ثلاث أو أربع مرات، كما لاحظنا أيضا على وجوه النساء الريفيات "الوشام" الذي على شكل حرف بربري "+" على الجبين و الوجنتين و الذقن و هو أخضر اللون، أما فيما يتعلق بالطعام وطريقة تحضيره فهو عادة يكون "كسكسي" باللحم يضاف اليه الحمص و الزبيب ويسمى "كسكسي عراسي"، و المرأة الريفية تقوم باعداد هذا النوع من الطعام أيضا في "الزردة" التي تقام في تاريخ معين من السنة لأحد الأولياء الصالحين في المنطقة، أو "الوعدة" و هي تقام أيضا للأولياء الصالحين لكنها ليست مرتبطة بوقت أو تاريخ معين من السنة وهي عبارة عن قربان للولي الصالح. أما في المآتم فتقوم المرأة في سبيبة أيضا بمشاركة أقربائها حزنهم، اذ تمتنع عن وضع الحناء ولباس الألبسة الجديدة كما لا تضع الكحل و العطور ولا تذهب الى الاحتفالات، وما يمكن ملاحظته أيضا هو أن المرأة في سبيبة تذهب الى المقبرة صباح يوم عيد الفطر، اذ تكون المقابر ممتلئة صباح يوم العيد خاصة بالنساء اللاتي يتشاركن أحزانهن وذكرياتهن المتعلقة بأقربائهن المتوفين .

الفصل الثاني خصائص العمل الفلاحي بسبيبة

١) أصناف الأعمال الفلاحية بأرياف سبيبة

لا تختلف أصناف الأعمال الفلاحية في سبيبة كثيرا من ريف الى آخر و هذا ما كشفت عنه عينة بحثنا حيث أن ٢٣ امرأة من المستجوبات صرحن بأنهن

يقمن بأعمال الحرث والغراسة و السقي و العناية بالحيوانات وأضافت ١٥ امرأة الى هذه الأعمال، الأعمال المتعلقة بجلب الماء لعدم توفر الحنفيات ببعض المناطق " ننقض الدار، انعمر البراد، انحي الحشيش للمعزات، نحمي القوجة، نمشي نجيب الماء، نورد، الا طاح الليل" (دلولة ٤٠ سنة، أم من ريف السمايرية).

ان الأنشطة الفلاحية واليومية المنزلية للمرأة الريفية تختلط وتتداخل فيما بينها حسب ما صرحت به المستجوبة فنجد أنه ليس هناك فاصل بين الأنشطة المنزلية والأنشطة الفلاحية وانما هي مرتبطة ببعضها البعض و هكذا تصبح الأنشطة الفلاحية هي أنشطة حياتية يومية تقوم بها المرأة الريفية مثلها مثل أي نشاط يومي عادي وهذا بحكم انتمائها لوسط ريفي فرض عليها هذه الأنشطة، فاذا قارنا بين هذه المرأة الريفية والمرأة المنتمية لوسط حضري لاعتبرنا أن هذه الأعباء الحياتية التي تتعرض لها المرأة كل يوم تعتبر أعباءا مزدوجة لدى المرأة الريفية، ولو تأملنا في هذه الأنشطة اليومية والفلاحية المتعبة والصعبة لوجدنا بأن البنية الفيزيولوجية لهذه المرأة الريفية بالإضافة الى كبر سنها لا تتماشى ولا تعادل ما تبذله من مجهود يومي فهي تستنزف كل طاقتها في هذه الأنشطة و في المقابل لا نجد بأنها تكافؤ على هذه الأنشطة المرهقة بقدر ما تبذله من مجهود وانما أصبحت هذه الأنشطة مجرد أمر حياتي عادي تقوم به كل امرأة في الريف دون انتظار مقابل فعلي يحفزها و تكافؤ به عن مجهوداتها المبذولة .

ان عدم توفر الحنفيات في بعض المناطق السكنية في الأرياف بسبيبة يجعلنا نتساءل عن مكانة هذه الأرياف في المخططات والبرامج الوطنية، كما يجعلنا نتساءل خاصة عن وضعية المرأة الريفية في ظل ظروف قاسية كهذه الظروف، خاصة و أن ١٥ امرأة من أصل ٣٢ يقمن بأعمال جلب الماء و كأن هذا النشاط هو حكر عليهن وحدهن، فنجد أنه من غير المقبول لدى الفلاحين و العائلات في الريف أن يقوم الرجل بجلب الماء فهذا يعتبر من

مشمولات المرأة على الرغم من صعوبته، وحتى المرأة في حد ذاتها نجد أنها تقوم بهذا النشاط معتبرة بأنه من مشمولاتها دون مجرد التفكير في أن يساعدها الزوج أو الأخ أو الابن في ذلك.

٢)طريقة توزيع الوقت داخل المستغلة الفلاحية

تستفيق المرأة الريفية بسبيبة باكرا لتنطلق في أنشطتها المنزلية و من ثمة الفلاحية أوالفلاحية مباشرة و تنتهي هذه الأنشطة مع غروب الشمس "نستاقض الفجر، ما نرقد كان المغرب" (خيرة ٥٢ سنة، أم من ريف البحيرة). وهذا ما يجعلنا نلاحظ بأن هذه الأنشطة تحتاج الكثير من الوقت و أن المرأة الريفية على عكس ما يظهر للعديد من الأفراد ليس لها وقت فراغ فالبعض يذهب الى أن المرأة الريفية وبحكم المجال الجغرافي الذي تعيش فيه و بحكم أنها لا تعمل في وظيفة قارة أو مضبوطة بوقت هي امرأة لها وقت فراغ، الا أننا نجد أن هذه المرأة هي تقضي وقتا أكثر مما تقضيه المرأة في المدينة في العمل .

"الدرك الكلو طايح عليا، يديني الليل ، اجيبني الليل" (ربح العمر تقريبا ٦٣/٦٤/٦٥ أم من ريف البحيرة).

ما نستطيع استنتاجه أيضا و في هذه النقطة بالذات هو أن المرأة الريفية بسبيبة تتعرض لهذه المشقة و هذا الاستغلال المزدوج يوميا كما أن كل وقتها مبذول في هذه الأنشطة المتعبة، ولكن هذا الأمر يدعونا للتساؤل لماذا تعمل المرأة الريفية في صمت. وهل يعبرهذا الصمت عن رضاها بالوضعية التي تعيشها أو عن عدم رضاها. فلماذا هذا الصمت والحال أن المرأة الريفية العاملة بالفلاحة العائلية بسبيبة تعاني من عدة صعوبات وعراقيل أثناء آدائها لأنشطتها. هل لأنها تتعرض الى التسلط وهل أن هذا الأمر يدفعها للرضوخ والتبعية، وانكار وجودها، وهل هذا ناتج عن أن المرأة في الريف يمكن اعتبارها مستلبة اجتماعيا و اقتصاديا رغم أهمية دورها في العائلة وفي اقتصاد العائلة .

ان المرأة بأرياف سبيبة هي امرأة تقوم بأنشطتها المنزلية والفلاحية في صمت فهي مقيدة ومكبلة بهذه المسؤولية التي تقع على عاتقها فمن جهة نجد بأنه لا مجال لها بأن تمتنع عن القيام بهذه الأنشطة لما لذلك من انعكاس سلبي عن الوضع العام لعائلتها وللفلاحة العائلية ومن جهة نجد بأنها تتعرض لهذه المشقة اليومية التي تعيشها، فنجد بأنها تقوم بهذه الأنشطة المتعبة لضرورة فرضتها عليها متطلبات الحياة و ليس باختيار منها فلو خيرت المرأة الريفية بين وضعيتها الحالية ووضعية أخرى غير التي تعيشها لا اختارت ما فيه أقل صعوبة باعتبار أننا و أثناء قيامنا بمقابلة النساء الريفيات العاملات في اطار الفلاحة العائلية لاحظنا بأنهن يشتكين صعوبات العمل الفلاحي الشاق، الا أنهن لم يجدن بديلا لذلك.

حسب ما صرحت به ٢٧ امرأة من المستجوبات من مختلف الأرياف فان أكثر موسم تكثر فيه الأنشطة الفلاحية بسبيبة هو موسم التفاح و الذي ينطلق مع بداية شهر أكتوبر من كل سنة، اذ تعتبر سبيبة أول منتج للتفاح بالبلاد التونسية بمختلف أصنافه، لهذا يتم التركيز من طرف الفلاحين سواءا الكبار أو الصغار على هذا الموسم كما تكثر فيه الأنشطة الفلاحية وتخبى عائداته و أرباحه ليتم انفاقها لتلبية الحاجيات اليومية و الفلاحية على كامل بقية السنة، الا أن مسألة الانفاق على العائلة تعتبر من مشمولات الرجل فهو من يتولى انفاق عائدات وأرباح هذا الصنف الفلاحي لتلبية الحاجيات اليومية والفلاحية في حين أن المشاركة الأكبر في عملية الانتاج كانت للمرأة.

٣) التغيرات التي عرفتها الأنشطة الفلاحية و تأثيرها على تطور الفلاحة العائلية

عرفت الأنشطة الفلاحية في الفلاحة العائلية بأرياف سبيبة بعض التغيرات ككراء الماء بالساعة للسقي فقد صرحت ٢٩ امرأة من المستجوبات بأن عائلتها

تقوم بكراء الماء بالساعة للسقي، بالإضافة لعمل النساء كأجيرات لدى الفلاحين الكبار في جني الخضر وخاصة الطماطم بين (١٥ و٢٠ دينار على كل "سطر" أي ١٠٠ متر من الطماطم حسب التقريب يقع جنيه بالنسبة لأجرة المرأة) و هذا الأمر يكون في الحالات النادرة التي لا تتوفر فيها اليد العاملة، أما في صورة توفر اليد العاملة بكثرة فتتراوح أجرة المرأة اليومية العاملة في جني الطماطم لدى الفلاحين الكبار بين ٨ و ١٠ دنانير بينما يتقاضى الرجل القائم بنفس النشاط ١٠ دنانير في اليوم بالإضافة الى توفير وجبة الفطور للرجال، و ما لاحظناه أن ما تجنيه المرأة من الطماطم يكون نظيفا من التراب و مرتبا فحتى على مستوى الجودة في الجني يمكن ملاحظتها بصفة واضحة. من بين التغيرات الأخرى أيضا نجد أن بعض النساء الريفيات في سبيبة أصبحن هن من يسوقن المنتوج بالسوق الأسبوعية يوم الخميس بالنسبة للأغنام والمواشي و يوم الجمعة بالنسبة للخضر و الغلال و الدجاج و الأرانب و الاوز و البط وهذه الأنشطة لم تكن النساء الريفيات بسبيبة سابقا يقمن بها "نهبت للسوق ونهز دجاجاتي بيدي نبيعهم" (حنان ٢٢ سنة ابنة من ريف عين الخمايسية) و تقوم بتسويق المنتوج الفلاحي خاصة النساء اللاتي يعملن أزواجهن في ولايات أخرى أو في العاصمة " ملي مشا راجلي و نايا الراجل، نايا المرا، واقفة عليها بحقيقة، كنبدا مخصوصة ندي نبيع معزة من المعزات نعيش بيها ولا ندي نبيع صندوقين ولا تلاثة طماطم وحويرات عضام عربي ولا فروج ولا ثنين كل سوق وقسموا" (منية ٣٩ سنة أم لأطفال صغار في السن من ريف عين الخمايسية و زوجها يعمل في البناء بصفاقس) .

الفصل الثالث الفلاحة العائلية وتعدد الأنشطة

نقصد بتعدد الأنشطة أو ما يسميه "سفيان العلوي" ب"التعدد النشاطي "la pluriactivité" " في شهادة الدراسات المعمقة التي بعنوان "الفلاحة العائلية والتعدد النشاطي و الديناميكية المجالية في وسط سفحي تلي (سفوح

بوسالم الشمالية)"، لجوء صاحب المستغلة الفلاحية وأفراد العائلة الى العمل غير الزراعي سواءا كان ذلك داخل المستغلة الفلاحية أو خارجها لتحسين موارد الفلاحة العائلية و هنا تجدر بنا الاشارة الى أن العائلة في الفلاحة العائلية يمكن أن تضم أكثر من أسرة واحدة، كما لا تعني أن كل الأفراد يقيمون مع بعضهم البعض في نفس المنزل، بل ان عامل الميراث أي الاشتراك في الملك و الاستغلال والانتفاع بالدخل سواءا كان مصدره داخل المستغلة أو خارجها هو المحدد الأساسي لمفهوم العائلة، و علاقة الميراث هذه و الروابط العائلية هذه تجعل أفراد العائلة يلجؤون الى الأنشطة الخارجية الأخرى لتحسين أوضاع المستغلة، أي أن اشتغال منظومة الفلاحة العائلية لا يتوقف على البنية الداخلية للمستغلة الفلاحية فقط بل تلعب فيه العوامل الخارجية دورا كبيرا ومن أهم هذه العوامل الخارجية هي العلاقة مع السوق.

١)الأنشطة الخارجية الأخرى التي تقوم بها المرأة الريفية في سبيبة لتدعيم موارد الفلاحة العائلية

تتنوع الأنشطة الخارجية للمرأة الريفية في سبيبة، اذ تقوم المرأة في أرياف سبيبة بأعمال الغزل و النسيج أو ما يعرف ب"السداية" و ذلك لانتاج أغطية الشتاء وبعض أصناف المفروشات و من ثمة تسويقها اما عن طريق بيعها في السوق الأسبوعية أو عبر ترويجها كمنتوج سياحي لبعض النزل عبر توجه الزوج أوالأبناء بها الى المناطق السياحية من أجل بيعها و الاستفادة من أرباحها "كلمواتي ميقد كيفهم حد، وصلو حتى لسوسة يتباعو"...."أما الجهد ايجيبو ربي ..."غنية أم لها أربعة أبناء، ٥٣ سنة، من البحيرة ، ريف الهواشم. وما يمكن استنتاجه في هذه النقطة هو أن المرأة تتعرض الى العديد من الجوانب التي تسيء الى صحتها فصناعة النسيج تعتبر صناعة صعبة قد تضعف من بصر المرأة لأن المرأة تظل أمام السجاد الذي تقوم بصناعته مدة طويلة من الزمن، اذ نجد أن مترا واحدا من السجاد يتطلب منها ١٥ يوما من التحضير حسب ما صرحت به مستجوبة من المستجوبات، كما تقوم المرأة

الريفية في سبيبة أيضا بصناعة "الطابونة" من الطين و كذلك بصناعة بعض الأواني المطبخية الخزفية، ثم يقع تسويقها يوم الجمعة في السوق الأسبوعية، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار بأن منطقة سبيبة تمتاز بصناعة أصناف الطين كما أشرنا الى ذلك مسبقا عند حديثنا عن خصائص منطقة البحث، كما تقوم بعض النساء في سبيبة المدينة بتأجير بعض النساء أو الفتيات من الأرياف لمساعدتهن في تحضير "العولة"، وتقوم المرأة الريفية في سبيبة أيضا باعداد الخبز المنزلي الذي تبقى آثار اعداده على سواعد المرأة الريفية اذ تتعرض خاصة عند اعدادها لكميات كبيرة منه الى بعض الحروق على مستوى الأيدي والذي تتوجه به فيما بعد الى أحرف الطريق التي تشق مدينة سبيبة لبيعه للسيارات المارة من هذه الطريق، ونجد أيضا أن بعض الفتيات الريفيات أصبحن يعملن كمعينات منزليات لدى بعض العائلات في سبيبة المدينة أو بدرجة أكبر في العاصمة أو المدن الأخرى. "انشدلها في الصغار وقت خدمتها (توأم ٣ سنوات)...تعطي فيا في ١٠٠د" سناء ١٩ سنة ابنة من ريف أولاد داود، وذلك على الرغم من صغر سنهن، وامكانية تعرضهن للخطر أثناء قيامهن بالأعمال المنزلية أو أثناء العيش في وسط أسري جديد وغريب في نفس الوقت عن الوسط الذي اعتدن على العيش فيه، كما تعمل بعض النساء الريفيات الأخريات كأجيرات فلاحيات لدى الفلاحين الكبار لكن هذا العمل لا يعتبر قارا اذ يكون حسب الطلب وأيضا حسب الموسم، وتتعرض المرأة الريفية أثناء قيامها بالعمل كأجيرة لدى الفلاحين الكبار الى الكثير من الاستغلال و ما يمكن ملاحظته هو أن المرأة الريفية تعتبر معرضة للخطر عند تنقلها للعمل كأجيرة، اذ يقع نقل عشرات النساء العاملات كأجيرات في العربة الخلفية لنفس الشاحنة الفلاحية و هذا ما يعرضهن الى الخطر.

أما بالنسبة لبقية أفراد العائلة فنجد أن الزوج في بعض العائلات يلجأ للعمل في مجال البناء "خدام حزام" و الأبناء منهم من يتوجه للعمل في المصانع

"عندي ولدي الكبير يخدم في المعمل في صفاقس و كل مرة يتفكرني بالمصروف..." منية، متزوجة، ٤٤ سنة، أخت من ريف عين الخمايسية. وما يمكننا استنتاجه بعد مقابلة النساء الريفيات بسبيبة هو أنهن عبرن بأن الأبناء الذين يتوجهون للعمل بالمدن الكبرى كصفاقس لا ينقطعون تماما عن الريف الذي عاشوا فيه و انما يحافظون على هذا الرابط الجغرافي والعائلي ويكون السبب في أغلب الأحيان من الهجرة نحو المدن و العمل فيها هو محاولة الارتقاء بالوضع المادي للعائلة، وخاصة مساعدة الأم و محاولة التخفيف عليها من أعبائها و مشقاتها وهذا هو بالضبط ما عبرت عليه المستجوبة "منية" في حديثها عن ابنها الذي توجه للعمل بصفاقس والذي يحاول مساعدتها من خلال ارسال مبلغ مالي معين في كل مرة لها.

وما لاحظناه أيضا عند الأبناء الشباب الذين ينتمون الى وسط عائلي فلاحي هو عدم رغبتهم في مواصلة العمل في اطار الفلاحة العائلية بل يرغبون في التوجه الى المدن من أجل العمل والانفتاح على طريقة عيش جديدة باعتبار أن هذه الأعمال الخارجية بالنسبة لهم هي أعمال أقل مشقة ويمكن أن توفر لهم دخل مادي أفضل وخاصة و أنها في وسط آخر حضري مختلف عن الوسط الذي اعتادوا على العيش فيه.

٢)مدى أهمية هذه الأنشطة الخارجية بالنسبة للفلاحة العائلية

تعتبر الأنشطة الخارجية هامة جدا بالنسبة للفلاحة العائلية، خاصة و أن ما لاحظناه لدى النساء في مختلف الأرياف هو التشكي من المردود الاقتصادي للفلاحة العائلية و أيضا التشكي من صعوبة تمويلها، كما أنه و فيما يتعلق بالأعمال الزراعية فقد كانت أغلب المستجوبات تشتكين من صعوبة هذه الأنشطة، اذ تعتبر أنشطة مرهقة جسديا، و هذا ما جعلهن يعتبرن أن الأنشطة الخارجية هي عبارة عن حل من الحلول يقع اللجوء اليه في حالة النقص في موارد و عائدات الفلاحة العائلية و حتى في حالة عدم و جود هذا النقص فان الأنشطة الخارجية تكون لتدعيم و تحسين هذه الموارد .

ان عائدات الأنشطة الفلاحية التي تقوم بها المرأة الريفية بسببية تذهب الى الزوج أو الأخ أو الأب (صاحب المستغلة) الذي سيتولى فيما بعد انفاقها على احتياجات العائلة والمقتنيات المتعلقة بالفلاحة، أما عائدات الأنشطة الخارجية كبيع الخبر المنزلي أو المنسوجات أومنتوجها الحيواني (الدجاج والبيض والأرانب والبط والأواني المطبخية و"الطابونة"..) تكون للمرأة وتضاف الى مدخراتها التي تدخرها الى ولا تنفقها الا في حالات الضرورة.

الفصل الرابع تقسيم الأعمال و تسيير الضيعة

١) تقسيم الأنشطة والأعمال بين أفراد العائلة

تؤدي النساء الريفيات دورا أساسيا في دعمهن لأسرهن وذلك من أجل تحقيق الأمن الغذائي و الاهتمام بالصالح العام للأسرة، لكن مع كل هذا تواجه المرأة الريفية العديد من المعوقات المستمرة التي تحول دون تمتعها الكامل بحقوقها الانسانية.

ما لاحظناه في أرياف سبيبة هو أن المرأة تقوم بالأعمال المنزلية كإعداد الطعام والتنظيف والعناية بالأطفال و يضاف الى هذه الأعمال اعداد الخبز المنزلي في "الطابونة" و جلب الحطب لإعداد الخبز وجلب الماء و غالبا ما تكون هذه الأعمال المنزلية من مشمولات الابنة و خاصة الابنة الكبرى أو المنقطعة عن الدراسة، اذ تدرب الابنة منذ الصغر على هذه الأنشطة ويتم تعويدها على دور الزوجة و الأم منذ الصغر، كما تقوم المرأة الريفية أيضا بأعمال الحرث و الغراسة و السقي ووضع الأسمدة و الاعتناء بالحيوانات سواءا كانت من الطيور (دجاج، بط، اوز، سمان، حمام، حجل...) أو من القطيع (خرفان أو ماعز) أو أرانب، فالمرأة الريفية تعمل لساعات أطول من الرجال اذا ما أخذنا بعين الاعتبار مسؤوليات الانتاج مدفوعة الأجر والانجاب غير المدفوع الأجر و مسؤوليات المنزل و الرعاية، و من بين النساء الريفيات أيضا من يقمن بالأعمال الخارجية عن المستغلة الفلاحية كالعمل كأجيرات

لدى المستغلين الكبار أو العمل كمعينات منزليات لدى عائلات في سبيبة المدينة أو في المدن الأخرى كالعاصمة بالنسبة للبنات غير المتزوجات والمنقطعات عن الدراسة...

أما بالنسبة للزوج في الفلاحة العائلية فيقوم بأعمال الحرث والغراسة والسقي والتسميد وأحيانا برعي الأغنام و الاعتناء بالقطيع فقط و ليس بالأرانب أو الدجاج لأن ذلك يعتبر من مشمولات المرأة في الريف، و تعتبر بعض الموروثات الثقافية والعادات والتقاليد من أهم المشكلات التي تواجه المرأة الريفية حيث يسود الفكر الذكوري بأن الرجل هو المسؤول عن كل شيء فحتى و ان كانت المرأة تساهم بدخل معين فهذا ينسب الى الرجل، فالسلطة و الهيمنة الذكورية هي التراث الواضح للعيان ضمن منظومة المجتمع الريفي، وهذا يؤدي الى التبخيس من وضعية المرأة في هذه المجتمعات الريفية، فالمرأة الريفية هنا هي أبرز مثال على وضعية القهر بكل أوجهه ، وهذا دليل على قسوة ما تعانيه المرأة الريفية من ظلم على الرغم من جهودها المبذولة، فحال المرأة الريفية هو أسوأ من حال الرجل الريفي و كذلك من حال المرأة والرجل في الوسط الحضري، فوجود المرأة في حد ذاته في الأرياف نجم عنه عدم مساواة بينها و بين المرأة في المدينة، و بينها و بين الرجل في الريف من جهة أخرى .

بالنسبة للأعمال الخارجية يقوم الزوج خاصة بأعمال البناء كما يمكن أن يتوجه الى سبيبة المدينة ليعمل ك"صانع" في بعض المحلات أو في بعض المقاهي...

بالنسبة للأبناء الذكور فما لاحظناه هو أن الأبناء المنقطعين عن الدراسة أغلبهم غير موجود بالمنزل، اذ يتوجه الأبناء الى العمل في المصانع و خاصة منها التي في جهة صفاقس وسوسة ويتوجهون أيضا الى تونس العاصمة للعمل كباعة متجولين خاصة ب"سوق سيدي بو منديل"، أو كعملة ب"سوق المنصف باي."

اذ أجابت احدى المستجوبات عندما قلنا " وينو ولدك الكبير" ب"سفيان متشوفيشو أصل ديما و هو في البلدان، وليدي معمل على روحو، مايجي كان في العيد...كان في سوسة مبعد جاء عدا الشتاء لهنا ورجع، أما رجع لتونس، عندو نصبة في السوق تو في في تونس" خديجة ٥٦ سنة (أم من ريف عين الخمايسية).

٢) مهمة توزيع الأعمال

حسب ما لاحظناه و من خلال ما أفادتنا به المستجوبات فان مهمة توزيع الأعمال لا يقوم بها شخص معين و انما النساء وجدن أنفسهن يقمن بالأعمال التي كانت أمهاتهن تقمن بها من قبلهن، أي أنه لا وجود لشخص معين معني بهذا التقسيم. وانما وجد هذا التقسيم منذ السابق "كل واحد يعرف خدمتو" (ماجدة ٢١ سنة، ابنة من ريف الهواشم، البحيرة).

يتميز الوسط الريفي بوجود العائلات التقليدية التي تعد نموذجا للهيمنة الذكورية والسلطة الأبوية المطلقة، فالرجل سواءا كان الأب أو الزوج أو الأخ (صاحب المستغلة الفلاحية) يسيطرعلى اتخاذ القرارات في تسيير شؤون الأسرة فهو المقرر والمحدد لمصير كل الأفراد في الأسرة، ويرى الرجال في هذه العائلات أن عمل المرأة في البيت واهتمامها بأبنائها هي واجبات و مهام طبيعية وعادية على المرأة آداؤها دون تذمر و ليس من الضرورة الاعتراف لها بالفضل أو مساعدتها في القيام بهذه الواجبات، أما عن العمل الفلاحي بمختلف مراحله وأنشطته المتنوعة من زراعة وتربية حيوانات فان أغلب الرجال قليلا ما يقبلون عليه حتى في ملكياتهم الخاصة وهذا ما جعل نسب النساء الريفيات اللاتي يشتغلن في مجال الفلاحة العائلية تفوق نسب الرجال.

٣) مهمة ترويج المنتوج و التصرف في المرابيح و العائدات المالية

صحيح أن الأعمال الفلاحية وأعمال الزراعة يقوم بها كل من الرجل و المرأة وتضاف الى هذه الأعمال أيضا الأعمال المنزلية و العناية بالحيوانات و جلب

الماء و الحطب بالنسبة للمرأة، لكن فيما يتعلق بترويج المنتوج الفلاحي و التصرف في عائداته وأرباحه المالية فهذا يقع اعتباره من مشمولات الرجل (صاحب المستغلة الفلاحية)، فهو من يقوم بنقل المنتوج الى السوق و بيعه سواءا كان المنتوج متمثلا في الخضر أو الغلال أو القطيع، الا في بعض الحالات فنجد مثلا أن هناك بعض الفتيات في الريف هن من يقمن بتسويق الدجاج أو البيض "نهبط للسوق ونهز دجاجاتي بيدي نبيعهم" (حنان ٢٢ سنة ابنة ن ريف عين الخمايسية)، وكذلك الشأن بالنسبة للتصرف في المرابيح و العائدات المالية فالرجل (صاحب المستغلة الفلاحية) هو من يقوم بهذه المهمة وبالنسبة للمصاريف أيضا نجد أنه هو من يقوم باقتناء الأسمدة والمشاتل و الأعلاف، كما أنه هو من يقوم باكتراء الماء بالساعة للسقي و هو أيضا من يشرف على جلب المواد الغذائية والحاجيات المعيشية اليومية للعائلة، كما أنه هو من يقوم باقتناء الألبسة والأدوات للأبناء الذين يدرسون، وبالنسبة للعائدات فنجد أنه هو من يقوم بالتصرف فيها و توزيعها و الادخار منها. اذ يتسم الريف بطابع ذكوري حاد تكون فيه المرأة منتجة، لكنها على الرغم من ذلك في حالة تبعية اقتصادية للرجل تعكس تغيبها عن اتخاذ القرارات و عن التصرف في الشؤون المالية للأسرة. ويضاف الى هذه التبعية الاقتصادية تحديات أخرى مرتبطة بعدم المساواة مع الرجل انطلاقا من العرف الاجتماعي خصوصا فيما يتعلق بحقوق امتلاك الأرض وعدم فسح المجال لها للتصرف في المجال الفلاحي.

فنجد أنها تقوم بوضع مبلغ مالي معين كاحتياطي تلجأ اليه في ظروف معينة ويكون هذا المبلغ مصدره متأتي من بيع البيض أو الدجاج أو أصناف بعض الطيور الأخرى أو الأرانب أو من خلال عملها كأجيرة أو معينة منزلية أو من أنشطتها الأخرى كصناعة الخزف أو غزل الصوف أو النسيج "السداية."

٤) التغيرات التي عرفها تقسيم الأعمال و الأنشطة في أرياف سبيبة و موقف المرأة من هذا التقسيم

حسب ما أفادتنا به المستجوبات لم يختلف هذا التقسيم عما كان عليه في السابق، الا فيما يتعلق بتسويق المنتوج فقد أصبحت المرأة تذهب الى السوق الأسبوعية من أجل تسويق منتوجها الخاص و هذا يعتبر جديدا الى حد ما بالنسبة لبعض المستجوبات (٤ مستجوبات).

اجابة المستجوبة	عدد المستجوبات
لم يتغير تقسيم الأعمال	٢٨
تغير تقسيم الأعمال	٤

أما بالنسبة لموقف المرأة الريفية في سبيبة من تقسيم الأعمال فهي ترى بأن الأعمال والأنشطة الموكلة لها تعتبر أنشطة كثيرة وصعبة، فهذه الفئة لها أوضاعها الخاصة وظروفها الشاقة والصعبة وواقعها الذي هو بصورة عامة واقع أليم، كما تعتبر بأنها أنشطة حاسمة اذ لا يمكن للفلاحة العائلية الاستمرار دون هذه الأعمال "الحمل الكلو طايح على المرا" (راضية،٢٦سنة، زوجة دون أطفال من ريف أولاد داود).

فالمرأة الريفية تباشر النسق المتسارع لمهامها اليومية مع العلم أنها الأكثر تضررا من الفقر، و من هشاشة العمل غير المهيكل و من قلة التشريك في القرارات، بالرغم من ذلك هي تشتغل داخل البيت وخارجه لتساعد في تلبية حاجيات عائلتها مع الأخذ بعين الاعتبار بأن العمل المنزلي والعمل الفلاحي هما من أكثر مجالات العمل ارهاقا، والمرأة التي تعيش في وسط ريفي تمارس الفلاحة كنشاط أساسي وتقوم بأعمال حرفية أو صناعية أخرى لتدعم هذه الفلاحة.

المرأة كانت و مازالت مصدرا للإنتاج في عملها سواءا كان هذا العمل في البيت أو داخل المستغلة الفلاحية وخارجها، وعليه فان النساء الريفيات يعتبرن أحد العوامل الرئيسية لتحقيق التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في مجال الفلاحة العائلية.

الفصل الخامس:

صعوبات الأنشطة الفلاحية داخل الفلاحة العائلية و كيفية تجاوز هذه الصعوبات

من أهم وأبرز الصعوبات والمشاكل التي تعانيها المرأة في الوسط الريفي بسبيبة هي عدم قدرة الدولة على تطبيق القانون لحماية المرأة العاملة في الوسط الريفي، فالمرأة العاملة في الوسط الريفي ليس لديها الحق في الراحة والتغطية الاجتماعية والصحية، حتى أنه يمكن الحديث عن المرأة كمواطنة تعطي أكثر من حقها للدولة، وعليه فعلى الدولة فك العزلة على المرأة الريفية بسبيبة من خلال تثمين جهودها خاصة اذا ما أخذنا بعين الاعتبار مساهمتها في الدخل القومي.

١) الصعوبات الطبيعية :

تتعرض الفلاحة العائلية لبعض الصعوبات الطبيعية مثل الأمراض الزراعية كالتي تصيب أشجار التفاح و الأصناف الأخرى من الأشجار و نجد في مقدمة هذه الأمراض ما يطلق عليه ب"الحمراء" و هي نوع من المرض الذي يصيب أشجار التفاح فتصبح غير قادرة على الاثمار و تكون "الحمراء" نتيجة وضع مناخي معين (شبيه بالغبار الأحمر الذي ينزل على الأشجار)، نجد أيضا الأمراض التي تصيب الماشية فحسب ما صرحت به المستجوبات فان الماعز و الخرفان تتعرض الى أمراض غير معروفة الأسباب تؤدي الي موتها.

بالإضافة الى الأمراض التي تصيب الأشجار و الحيوانات نجد أيضا أن الفلاحة العائلية والتفاح خاصة يتضرر من البرد "التبروري" الذي يصيب التفاح و يتلفه كما يتلف أيضا أصنافا أخرى من الثمار الخوخ و المشمش، فلتدهور البيئة والمناخ تأثير كبير على الموارد الطبيعية التي تعتمد عليها النساء الريفيات في معيشتهن وخاصة على المنتوج الزراعي و الحيواني.

من بين الصعوبات الطبيعية التي كانت موجودة في السابق و لم تعد موجودة في الحاضر نجد "وادي سبيبة (الكنطرة حاليا)" والذي كان دون جسر، ففي

السابق لم يكن باستطاعة صاحب المنتوج تسويق منتوجه و نقله للسوق الأسبوعية نتيجة لامتلاء هذا الوادي بمياه الأمطار عندما تنزل الأمطار بكميات كبيرة فهذا الوادي يقطع الطريق الرابطة بين بعض الأرياف و سبيبة المدينة، لكن في الوقت الحاضر يوجد جسر على وادي سبيبة أصبح يمكن الفلاحين من نقل منتوجهم الى السوق الأسبوعية، كما سهل أيضا التنقل بالنسبة لسكان الريف و أصحاب سيارات النقل الريفي.

٢) الصعوبات الاقتصادية (التمويل/المرابيح)

اشتكت كل الستجوبات (٣٢امرأة) من صعوبات تمويل الفلاحة العائلية، خاصة فيما يتعلق باقتناء المشاتل و الأسمدة و الأعلاف و ذلك لغلو أسعارها خاصة و أن النساء الريفيات يعملن في ظروف صعبة جدا مقابل أجرة يومية كانت في السابق خمسة دينارات و أصبحت حاليا ثمانية دينارات، انهن يعملن دون تغطية اجتماعية و لا راحة أسبوعية أو سنوية خالصة الأجر ولا عطلة مرضية، ومن تغيب منهن دون ترخيص يتم الاستغناء عن خدماتها بصفة نهائية، وهن يعملن عادة في مزارع الفلاحين الكبار و المتوسطين لمدة ثماني ساعات متواصلة تتخللها نصف ساعة يقضينها في تناول وجبة الغداء التي غالبا ما تكون لا تتناسب مع المجهود العضلي الذي تبذلنه في العمل سواءا في البرد أو تحت أشعة الشمس.

ان الاستغلال المفرط الذي تتعرض له النساء في الريف يزداد حدة بازدياد البؤس والفقر والتهميش نتيجة لتأزم الوضع الاقتصادي المتسم بالارتفاع الحاد للأسعار وتدهور المقدرة الشرائية و الوضع الاجتماعي كتفاقم ظاهرة البطالة و ظهور المناولة، لذا فان أوضاع النساء الريفيات العاملات في القطاع الفلاحي بسبيبة تتطلب تدخلا عاجلا و ارادة سياسية تعمل على التركيز على هذه الحالات واعطائها قدرا كبيرا من الاهتمام، وقد اشتكت المستجوبات أيضا من عدم وجود مساعدات مادية من طرف الدولة أو جمعيات المجتمع المدني،

(٣٢ امرأة/كل المستجوبات)، كما عبرن عن عجز عائدات الفلاحة العائلية في بعض الأحيان عن تلبية كل حاجيات المعيش اليومي .

٣) صعوبات النقل والتسويق :

ان المرأة الريفية في أرياف مدينة سبيبة تدفع للعمل في القطاع الفلاحي لضرورة فرضتها صعوبة الحياة وقسوة العيش بحكم أن هذا القطاع هو الوجهة الأولى للنساء الريفيات اذ تتجمع النساء الريفيات العاملات كأجيرات كل صباح بوسائل عملهن التقليدية في انتظار أن يصعدن في الصناديق الخلفية للشاحنات لإيصالهن لأماكن عملهن وهذه الأماكن هي متغيرة فهن ينتقلن من فلاح الى آخر ولكل من هو في حاجة لليد العاملة لجني محاصيله الفلاحية، خاصة منها المحاصيل الزراعية السقوية (الطماطم)، هذا مع العلم بأنهن يتوجهن للعمل كأجيرات فلاحيات بعد الانتهاء من أعمالهن المنزلية، فعملهن داخل المنزل يبدأ في حدود الساعة الرابعة صباحا لينتهي مع العاشرة أو الحادية عشر ليلا (استغلال مزدوج)، يصعدن في الصندوق الخلفي للشاحنة ويمضي بهن السائق في اتجاه المزارع عبر المسالك الفلاحية الرديئة وبسرعة دون توفير أدنى ظروف السلامة لهن، رغم أن القانون يمنع هذا التجاوز فشركات التأمين لا تؤمن الركاب بالصناديق الخلفية للشاحنات لخطورتها.

عبرت ١٢ مستجوبة عن صعوبات نقل المنتوج الى السوق و ذلك لعدم وجود الطرقات المعبدة التي تربط بعض الأرياف بسبيبة المدينة و أيضا لرفض بعض أصحاب سيارات النقل الريفي تحميل بعض أصناف المنتوج الفلاحي كالخرفان أو الماعز أو بعض المنتوجات الفلاحية الأخرى خاصة ان كانت بكميات كبيرة (الخضر أو الغلال)، و هذا ما يدفع صاحب المستغلة الفلاحية في الفلاحة العائلية الى اكتراء سيارة فلاحية لنقل منتوجه الى السوق، وفي الحالات التي يعجز فيها صاحب المستغلة عن اكتراء السيارة الفلاحية لأسباب اقتصادية، يلجأ في بعض الأحيان عندما يكون المنتوج من الحيوانات (خرفان أو ماعز) الى نقله سيرا على الأقدام، كما لاحظنا هذه الطريقة في التنقل

أيضا (سيرا على الأقدام) لدى سكان بعض الأرياف التي لا يمكن للنقل الريفي الوصول لها، لهذا نجد أن المرأة في هذه الأرياف تقوم بنقل منتوجها الحيواني (دجاج، بيض، أرانب، بط، اوز...) أو النسيجي (صوف، منسوجات، "قشابيا"، "بطانيا"، "كليم"...) أو الخزفي (أواني، "طابونة"...)، سيرا على الأقدام من الريف الى المدينة وهذه تعتبر عملية شاقة خاصة في فصل الصيف و منهن من يلجأن الى حمل المنتوج على الدواب (حمار) لمن يتوفر لهن ذلك. أما في فصل الشتاء فعادة ما يغرق سكان الأرياف في الأوحال كلما تهاطلت الأمطار باعتبار أن المسالك الريفية تتحول الى أوحال و برك يستحيل في بعض الأحيان المرور عليها، ورغم ارسال سكان هذه المناطق العديد من المطالب للجهات المختصة فانه و حسب تصريحاتهم قد تم التغافل عليها واهمالها، وبانسداد هذه المسالك الريفية يصبح سكان الريف في عزلة تامة عن العالم الخارجي ومنهم تلاميذ المدارس الذين يضطرون لأخذ راحة غير مرغوب فيها والمرضى أيضا فهم يعزلون عن المستشفيات و كذلك أصحاب المنتوج من الفلاحين الصغار اذ يصبحون غير قادرين عن أخذ منتوجهم الى السوق المحلية.

٤) صعوبات أخرى :

ان صعوبات الفلاحين الصغار كثيرة ومنها اضطراب الموارد المائية وضعف القدرات المادية و اهتراء البنية التحتية والخلل في العلاقة بين الفلاح و الادارة وارتفاع أسعار البذور، وكذلك الصعوبات المتعلقة بالتزود بالأعلاف التي يتمثل أبرزها في ارتفاع الأسعار و ندرة الموارد العلفية و الاحتكار في البيع و غياب الشفافية في تعاملات المتزودين و المنتجين بالإضافة الى عجز السلطات الجهوية على توفير التجهيزات والتقنيات الفلاحية الملائمة وتعتبر المرأة الريفية هي الأكثر تضررا من هذه الصعوبات التي تضاف اليها صعوبات أخرى جندرية اذ تعاني العديد من النساء الريفيات بسببية من العنف

الأسري الا أن قليل منهن فقط من يطلبن المساعدة، و من أهم أسباب هذا الأمر هو العلاقات ذات القوة غير المتساوية بين الجنسين، ولبعض التقاليد الثقافية أيضا دور في استمرار العنف المتركز على اختلاف الجنس، كالممارسات التقليدية الضارة و الزواج في سن الطفولة وحرمان الزوجات من حق الميراث، ويعتبر الوصول الى الشرطة أو خدمات تقديم المشورة أو الخدمات القانونية كالمحاكم و أهل الاختصاص أكثر صعوبة بالنسبة للمرأة الريفية و ذلك لعدة أسباب من بينها عدم الوعي بهذه الخدمات أو الخوف أوعدم توفر وسائل النقل للذهاب لسبيبة المدينة وابتعاد الريف عن أماكن تقديم الخدمات.

٥) تأثير هذه الصعوبات على مستوى الانتاج في الفلاحة العائلية :

ان كل هذه الصعوبات التي تتعرض لها المرأة الريفية بأرياف سبيبة خلال القيام بأنشطتها المنزلية والفلاحية تؤثر سلبا على الانتاجية بما أنها تؤثر سلبا على المرأة الريفية باعتبارها تمثل قوة عمل، فغياب تحفيز المرأة الريفية على القيام بهذه الأنشطة يجعلها تقدم على العمل دون رغبة في ذلك و انما بدافع الحاجة للعمل فقط وبالتالي تفقد الدافعية في العمل فيتأثر مستوى الانتاج، خاصة مع انتمائها لوسط اجتماعي لا يشجعها على الاستقلالية المادية، ولا يمكنها من فرصة الارتقاء والتطور في مستوى عملها الفلاحي.

ان المرأة ومع وجود كل هذه المعرقلات والصعوبات تمكنت من الصمود ومواصلة أنشطتها الشاقة و المتعبة بمجهود يفوق طاقتها وبإمكانيات مادية وتقنية بسيطة، فهي وبوجود ظروف عمل كهذه تقوم بأكثر مما هو متوقع منها في هذا المجال، لكن هذا لا يعني أن لغياب التقنيات والموارد المادية اللازمة في هذا المجال تأثير على مستوى الانتاجية بل ان ذلك يؤثر ضرورة على مستوى الانتاج، وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن مدى امكانية الارتقاء بالإنتاج الفلاحي العائلي وعن الحل في ذلك.

٦) كيفية تجاوز هذه الصعوبات :

يقوم الفلاح بوضع بعض الأسمدة على النباتات والأشجار لتفادي بعض أصناف الأمراض التي تصيب الأشجار و النباتات، كما يقوم هذا الأخير بتقديم أدوية يتم خلطها بالأعلاف للخرفان و الماعز و الدجاج، أما فيما يتعلق بال"برد" فيترك الأمر للحظ على عكس الفلاحين الكبار اللذين يحتاطون من البرد عبر تغطية أشجار التفاح بنوع من الشباك التي تمنع وصول حبات البرد الى التفاح وتمتد هذه الشباك على طول المساحة المخصصة لأشجار التفاح، وهذا الحل يعتبر مكلفا من الناحية المادية لهذا يعجز صاحب المستغلة الفلاحية في الفلاحة العائلية على القيام به، وذلك لضعف الموارد المادية للفلاحين الصغار ولاكتساح الفلاحين الكبار للسوق خاصة مع غياب الدعم المادي للفلاحين الصغار، سواءا كان ذلك من طرف الدولة أو من طرف المتدخلين من المجتمع المدني .

حسب ما أفادتنا به جميع المستجوبات فإنهن لم يتلقين أية مساعدات من طرف أي جمعية أو برنامج وطني، كما أفدن بأنهن لم يتمتعن أيضا بخدمات الارشاد الفلاحي، و انما تعتبر الأطراف المساعدة متمثلة فقط في الأقارب والاقتراض منهم عند الحاجة أو في أوقات الأزمات الاقتصادية التي تمر بها العائلة.

صرحت ٢٣ امرأة من المسجوبات بأنهن يلجأن للاقتراض من بعض الأقارب وذلك لعدم توفر مساعدات من طرف الدولة أو الجمعيات، فالمرأة الريفية تعاني من صعوبة الحصول على الدعم والتشجيع من الجهات الرسمية للنهوض بالنشاط الفلاحي على الرغم من أن اصلاح هذا القطاع يكون بالالتفات الجاد نحو هذا النشاط الفلاحي وخاصة بإصلاح هذا القطاع من الداخل عبر الاهتمام بقضايا المرأة في الريف باعتبارها تمثل قوة انتاج هامة وباعتبار أن تنوع الأنشطة والأعمال يعتبر خاصية أساسية وقارة في حياتها في مختلف المناطق الريفية بسبيبة على الرغم من أن هذه المناطق تشكو

نقصا واضحا في المرافق المؤسساتية والخدمية كالمدارس و المستشفيات و الوجهات الترفيهية، فالتنمية الحقيقية لهذه المناطق الريفية واصلاح هذا القطاع يحتاج جهودا مضاعفة لتحقيق ما يطلب منه وذلك يكون عبر توفير الجهات الرسمية للتجهيزات والتقنيات الملائمة لعمل المرأة في الفلاحة العائلية وتعبيد المسالك الفلاحية كحل لتفادي صعوبات النقل وتسويق المنتوج وتقريب الخدمات الأساسية للأرياف وتطوير مجال الصحة الانجابية وتوفير الحق في الدراسة في ظروف ملائمة للمرأة في الريف وتوفير الدعم الفلاحي للمرأة خاصة في مجال الارشاد من الجهات المختصة و الخبراء وادماجها في مواقع صنع القرار، ورفع العزلة السياسية والاقتصادية عن المرأة في الريف واعطائها الفرصة في التدريب وبناء الكفاءات وفي الدعم المالي الذي يتيح لها فرصة الاستقلال المادي عن المشغل وعن هيمنة الرجل داخل العائلات التقليدية الريفية وتشجيعها وتعزيز حقوقها وتوعيتها بهذه الحقوق للارتقاء بمكانتها في هذا المجتمع الريفي فالنساء الريفيات مازلن بحاجة الى المزيد من الاستراتيجيات الوطنية للنهوض بأوضاعهن ومازلن بحاجة الى المبادرات والتدخلات التي تهدف للنهوض بوضعهن المادي والاجتماعي.

٧) تدخلات الدولة في هذا المجال (مشاريع وبرامج وزارة المرأة والأسرة والطفولة) :

حسب ما أفادتنا به السيدة "جازية الهمامي" بوزارة المرأة و الأسرة والطفولة بعد زيارتها بمكتبها بمقر الوزارة بتاريخ ٢٠١٦/١١/٠٧، فان اهتمام الوزارة بعد الثورة كان يتمثل في ايجاد معلومات دقيقة و موضوعية حول النساء بالمناطق الريفية، و أشارت السيدة "جازية الهمامي" أن الوزارة قامت بإجراء دراسة حول مدى انتفاع النساء الريفيات بالمرافق العمومية، و هذه الدراسة أجريت على ١١ ولاية من بينها ولاية القصرين، وبناءا على هذه الدراسة التي قدمت معطيات ومعلومات حول وضع المرأة بالريف ومدى انتفاعها بالمرافق العمومية، تم العمل على وضع ثلاثة مشاريع كبرى.

المشروع الأول هو مشروع لمقاومة الانقطاع المدرسي للفتيات بالأرياف، حيث توصلت الدراسة الى أن الانقطاع المدرسي بالنسبة للفتيات في الريف له مجموعة من الأسباب منها المشتركة (بين ظاهرة انقطاع التلاميذ الذكور عن الدراسة وظاهرة انقطاع التلميذات الاناث)، ومنها أسباب أخرى خاصة بالفتيات. ومن بين هذه الأسباب ذكرت لنا السيدة "جازية الهمامي" صعوبات النقل و البنية التحتية في الأرياف بالإضافة الى ظاهرة غيابات المعلمين لصعوبة الظروف الطبيعية والمناخية بالأرياف مما يدفع الى مستوى تحصيلي ضعيف للتلاميذ، و أيضا قلة الفضاءات التي تستوعب التلاميذ و خاصة منهم التلميذات الفتيات في فترات ما بين الدراسة. وعلى هذا الأساس انطلق مشروع مقاومة الانقطاع المدرسي في سنة ٢٠١٣، ففي "ماجل بن عباس" من ولاية القصرين تم بناء مطعم مدرسي وقاعة مراجعة يقضي فيها التلاميذ فترات ما بين الدراسة، كما تم تخصيص حافلة لنقل التلاميذ للدراسة. وحسب ما أفادتنا به السيدة "جازية همامي" فان نتائج هذا المشروع كانت ايجابية (٠ بالمائة نسبة الانقطاع المدرسي بعد بعث هذا المشروع)، و أن هذا المشروع كان عبارة عن تجربة تم تعميمها فيما بعد، ففي سنة ٢٠١٥ تم وضع اتفاقية متعددة الأطراف بين وزارة التربية والتعليم والتكوين المهني ووزارة النقل ووزارة الثقافة ووزارة الداخلية ووزارة المرأة والأسرة والطفولة بالإضافة الى جمعيات المجتمع المدني المختصة في نقل التلاميذ لتعميم هذا المشروع ونشره في بقية الولايات كالقيروان وجندوبة وولايات أخرى.

تحدثت أيضا السيدة "جازية الهمامي" عن مشروع ثاني يهدف الى نشر ثقافة المواطنة والحقوق الانسانية في الوسط الريفي وهذا المشروع انطلق منذ ٢٠١١ وهو مستمر الى اليوم وسعى الى التوعية والتحسيس بأهمية مشاركة النساء الريفيات في الحياة العامة وتكريس مبدأ المواطنة لديهن كالمشاركة في

الانتخابات، وذلك عبر ومضات اشهارية و دورات تكوينية وتحسيسية وهذا بالشراكة مع وزارة الفلاحة والوكالة التونسية للتكوين المهني.

أما بالنسبة للمشروع الثالث الذي تحدثت عنه السيدة "جازية الهمامي" فهو عبارة عن مشروع لحماية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للنساء في الوسط الريفي، حيث أجريت دراسة حول عمل النساء في المناطق الريفية ومدى انتفاعهن بالحماية الاجتماعية (الوزارة بصدد انجاز خطة عمل لتنفيع النساء الريفيات من الحماية الاجتماعية)، كحماية العاملات في القطاع الفلاحي في الريف خاصة عند تنقلهن وهذا عبر تنظيم نقل العاملات و العملة في القطاع الفلاحي، اذ تم ابرام اتفاق بين وزارة المرأة والأسرة والطفولة والاتحاد التونسي للفلاحة والصيد البحري والاتحاد الوطني للشغل والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية في هذا المجال، و يجري العمل حاليا على ايجاد الصيغ القانونية لتنظيم عملية نقل العاملات في القطاع الفلاحي بما يضمن سلامتهن.

المراجع

بحوث و دراسات سابقة

١) العلوي (سفيان)، شهادة الدراسات المعمقة في الجغرافيا البشرية، الفلاحة العائلية و التعدد النشاطي والديناميكية المجالية في وسط سفحي تلي (سفوح بوسالم الشمالية) أكتوبر ١٩٩٩ تأطير حافظ ستهم.

٢) الرياحي (الهادي) ، الفلاحة وتعدد الأنشطة العائلية الريفية داخل معتمديتي مجاز الباب و قبلاط، دراسة جغرافية اجتماعية، رسالة دكتوراه في الجغرافيا الريفية، تأطير حافظ ستهم.

٣) قارة بيبان (فتحي) ، شكل الانتاج الفلاحي لدى صغار المنتجين الفلاحيين، مثال دوار التلة بجهة بنزرت، ١٩٩٨ ، تأطير فتحي الهيشري.

٤) القريشي (نور الدين) ، المرأة والتنمية في تونس،الواقع و الآفاق، دراسة حالة نفزة.

٥) السعدي، (غالية) ، دور المرأة الريفية في تحقيق التنمية المحلية، زوجة الفلاح بمنطقة بن قردان نموذجا.

٦) عوني، (بثينة) ، الواقع المعيشي للمرأة الريفية و دورها في انتاج العمل في اطار مجتمع محلي، أولاد سيدي علي بن عون.

٧) مجلة الكريديف (أوت ٢٠١٣) الملف "واقع الاندماج الاقتصادي للمرأة في تونس."

الكتب

8) Durkheim)Emile(1893, de la division du travail social, livre1

9) Bourdieu)Pierre(,La domination masculine, editions de seuil, collection Liber,1998.

10) De beauvoir)Simone(,Le deuxieme sexe, les faits et les mythes, Gallimard 1949.

11) RAFAC , agriculture famillialles et politiques agricoles en Méditerranée, options Méditerranéenes, Montpellier,1997.323 p.

١٢) فيبار(ماكس) ، الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية، ترجمة محمد علي مقلد ١٩٣٠ .

١٣) بورديو(بيار) ،الهيمنة الذكورية، ترجمة د. سلمان قعفراني، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية.
١٤) عبد الفتاح (كاميليا) ، سيكولوجية المرأة العاملة.
١٥) أبو بكر (أميمة) ، المرأة والجندر، الغاء التمييز الثقافي و الاجتماعي بين الجنسين، بيروت، دار الفكر العربي.
١٦) خولي (سناء) ، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، سبتمبر ١٩٧٨. –حجازي _(مصطفى) التخلف الاجتماعي، مدخل الى سيكولوجيا الانسان المقهور .
١٧) ولاية القصرين في أرقام لسنة ٢٠٠٥، صادر عن ديوان تنمية الوسط الغربي.
١٨) ولاية القصرين في أرقام لسنة ٢٠٠٩، صادر عن ديوان تنمية الوسط الغربي.
١٩) ولاية القصرين في أرقام لسنة ٢٠١٠، صادر عن ديوان تنمية الوسط الغربي.
٢٠) التعداد العام للسكان و السكنى لسنة ٢٠١٤.

المعاجم

٢١) معجم العلوم الاجتماعية، انقليزي، فرنسي، عربي_فريديريك معتوق.
٢٢) معجم علم الاجتماع، لأستاذ علم الاجتماع بكلية آداب جامعة الاسكندرية محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

المواقع الالكترونية

٢٣) الموقع الرسمي لولاية القصرين.
٢٤) الموقع الرسمي لمدينة سبيبة، جغرافيا المدينة.
٢٥) الموقع الرسمي للتعداد العام للسكان و السكنى.